الأئمة الاثنا عشر .. دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم عليهم السلام

جعفر السبحاني

التقديم:

بِسم الله الرحمن الرحيم

لا يأتي المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأن الحقبة الزمنية التي شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمد ﷺ وسنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تشكل بحد ذاتها انعطافاً رهيباً وتحولاً كبيراً في حياة البشرية، في وقت شهد فيه الخط البياني الدال على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج السماوي وشرائعه المقدسة انحدارا عميقا وترديا ملحوظا أصبح من العسير على احد تحديد مدى انتهائه وحدود أبعاده.

بلى، انّ مجرد الاستقراء المتعجّل لأبعاد التحول الفكري والعقائدي في حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية في أرض الجزيرة _ المسترخية على رمال الوهم والخداع وسيل الدم المتدافع _ يكشف وبلا تطرّ ٍ ومحاباة عظم ذلك التأثير الإيجابي الذي يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحول المعاكس في كيفية التعامل اليومي مع احداث الحياة وتطوراتها، وبالتالي في فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان ودوره في بناء الحياة.

كما أنّ هذه الحقائق المجسّدة تكشف بالتالي عن عظم الجهد الذي بذله صاحب الرسالة ﷺ في تحقيق هذا الأمر وتثبيت أركانه، في وقت شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعاً ملحوظاً في جميع قيمها ومعتقداتها، وخلطاً وتزييفاً مدروساً في مجمل عقائدها ومرتكزات أفكارها، كرس بالتالي مسارها المبتعد عن الخط السماوي ومناهجه السوية، وأنّ أي استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك _ والتي كانت تشكل المعيار الاساسي والمفصل المهم الذي تستند اليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية وتشذ ّ من خلاله _ يكشف عن عمق المأساة التي كانت تعيشها تلك الأُمم في تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك _ والتي تعتبر في تصور العوام وفهمهم مصدر القرار العرفي والشرعي المدير لشؤون الناس والمتحكم بمصائرهم ومسار تفكيرهم _ تنحصر في ثلاثة مراكز معلومة أركانها الأساسية: اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدي وفكري يستند الى ثروات طائلة كبيرة، والصليبيون بما يشكلونه من قوة مادية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها الى أبعد النقاط والحدود، وأصحاب الثروة والجاه من المتنفّذين والمتحكمين في مصائر الناس.

ومن هنا فان كل الضوابط الأخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها بما يتلاءم وتوجهاتها التي لا تحدها أي حدود.

إن هذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لان تسلخ الإنسان من كيانه العظيم الذي اراده الله تعالى له، ودفعه عن دوره الكبير الذي خلق من أجله عندما قال تعالى للملائكة: (إِنِّي جَاعِل في الأرض خَلِيفَة) بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماما رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الإنسان ليبقى دائماً بيدقاً أعمى تحول به أصابعهم الشيطانية لتنفيذ أفكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة.

وأمّا ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود امام تيارات التزييف والكذب والخداع التي مسخت صورتها الى ابعد الحدود.

نعم بُعث محمد ﷺ إلى قوم خير تعبير عنهم قول جعفر بن أبي طالب للنجاشي: أيها الملك كنّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

هذا في الوقت الذي كانت فيه مراكز القوى تلك تتضخّم وتتعاظم على حساب ضياع البشرية وموت مبادئها.

وهكذا فقد كانت الدعوة الإسلامية الفتيّة وصاحبها ﷺ في مواجهة هذه المراكز بامتداداتها الرهيبة وقدراتها العظيمة، والتي شكلت أعنف مواجهة شرسة وقتال ليس له مثيل صبغ أرض الجزيرة ورمالها الصفراء، بلون أحمر قاني لسنوات لم يعرف فيها رسول الله ﷺ وخيرة أصحابه للراحة طعما وللسكون مسكنا.

إن تلك الحصون المليئة بالشر والخراب لم تتهاو إلا بعد جهد جهيد وسيل جارف من الدماء الطاهرة التي لا توزن بها الجبال، من رجال اوقفوا انفسهم وأرواحهم من أجل هذا الدين وصاحبه ﷺ.

إستطاع رسول الله ﷺ أن يقيم حكومة الله تعالى في الأرض وأن يثبّت فيها الأركان على أساس الواقع والوجود، فلم تجد آنذاك كل قوى الشرّ بدّاً من الإختباء في زوايا العتمة والظلام تتحيّن الفرص السانحة والظروف الملائمة للانقضاض على هذا البنيان الذي بدأ يزداد شموخا وعلوّ مع تقادم السنين.

ولقد كان رسول الله ﷺ يدرك عيانا أن نقطة ضعف هذه الأمّة يكمن في تفرّقها وفي تبعثر جهودها ممّا سيمكن من ظهور منافذ مشرعة في هذا البنيان الكبير لا تتردد أركان الكفر وأعداء الدين المتلوّنين والمتسترين من النفوذ خلالها والتسلل بين أهلها، وفي ذلك الخطر الاكبر. ولذا فإن رسول الله ﷺ كان يصرّح ويحذّر من افتراق أُمّته، ويلوح للمفترقين بالنار والجحيم.

بيد أن ما حذّ منه ﷺ وما كان يخشاه، بدت أوّل معالمه الخطرة تتوضح في اللحظات الأولى لرحيله ﷺ وانتقاله الى عالم الخلود، وعندها وجد أعداء هذا الدين الفرصة مؤاتية للولوج الى داخل هذا البناء والعمل على هدمه بمعاول اهله لا بمعاولهم هم.

فتفرّقت هذه الأُمّة فرقاً فرقاً وجماعات جماعات، لا تتردد كل واحدة من أن تكفّر الأخرى وتكيل لها التهم الباطلة والافتراءات الظالمة، وانشغل المسلمون عن أعدائهم بقتال إخوانهم والتمثيل بأجسادهم، وحل بالأمّة وباء وبيل بدأ يستشري في جسدها الغض بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.

نعم بعد هذه السنين المرة من الفرقة والتشتّت بدأ المسلمون في أخريات المطاف يلعقون جراحا خلّفتها سيوف إخوانهم لا سيوف أعدائهم في حين ينظر اليهم أعداؤهم بتشف وشماتة.

إن ما حل بالمسلمين من مصائب وتخلّف في كافة المستويات اوقعتهم في براثن المستعمرين أعداء الله ورسله يعود الى تفرق كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزّق وحدتهم، ولعل نظرة عاجلة لما يجري في بقاع المعمورة المختلفة يوضّح لنا هذه الصورة المؤلمة والمفجعة، فمن فلسطين مروراً بلبنان وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزّق والتبعثر.

وإن كان من كلمة تقال فإن للجهود المخلصة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر في توقي غيرها من المضاعفات الخطيرة التي تتولد كل يوم في بلد من بلاد المسلمين لا في غيرها.

ولا نغالي إذا قلنا بأن للجمهورية الإسلامية في إيران ومؤسّسها الإمام الخميني ــ رضوان الله تعالى عليه ــ الفضل الأكبر في تشخيص موضع الداء وتحديد موطنه.

ولعل الإستقراء المختصر لجمل توجيهات الإمام ﵀ طوال حياته ولسنين طويلة يدلّنا بوضوح على قدرته التشخيصية في وضع يده على موضع الداء ودعوته الى الالتفات الى ذلك، لا إلى الإنشغال بما عداه.

فمن نداء له ﷺ إلى حجاج بيت الله الحرام في عام (١٣٩٩ هجري) قال: ومن واجبات هذا التجمع العظيم دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحياتي ويسعوا إلى إيجاد جبهة للمستضعفين للتحرر بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلا الله) من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلة، وللتغلب بالاخوة الإسلامية على المشاكل.

يا مسلمي العالم، ويا أتباع مدرسة التوحيد رمز كل مصائب البلدان الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم الإنسجام، ورمز الانتصار وحدة الكلمة والإنسجام، وقد بيّن الله تعالى ذلك في جملة واحدة: (واعتَصِمُوا بِحَبل الله جَمِيعا وَلا تَفَرَّقُوا) والاعتصام بحبل الله تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام وفي اتجاه الإسلام ولمصالح المسلمين، والإبتعاد عن التفرقة والإنفصال والفئوية التي هي اساس كل مصيبة وتخلّف.

وقال ﷺ في كلمة له مع وفد من كبار علماء الحرمين الشريفين(١٣٩٩ هجري): رمز انتصار المسلمين في صدر الإسلام كان وحدة الكلمة وقوة الإيمان.

لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، ولو كانت الحكومات والشعوب الإسلامية متلاحمة فلا معنى لان يبقى ما يقارب مليارد إنسان مسلم تحت سيطرة القوى الأجنبية، لو أنّ هذه القدرة الإلهية الكبرى تقترن بقوة الإيمان ويسيروا جميعا متآخين على طريق الإسلام فلا تستطيع أية قوة أن تتغلب عليهم.

وأكّد ﷺ على مغزى سر انتصار المسلمين في صدر الإسلام الأول رغم قلّة عددهم وتواضع امكانياتهم، وانكسارهم في الوقت الحاضر مع عظم امكانياتهم وكثرة عددهم بقوله: يا مسلمي العالم ماذا دهاكم فقد دحرتم في صدر الإسلام بعدة قليلة جدا القوى العظمى وأوجدتم الأُمّة الكبرى الإسلامية الإنسانية، واليوم وأنتم تقربون من مليارد إنسان وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التي هي أكبر حربة تقفون أمام العدو بمثل هذا الضعف والإنهيار، أتعلمون أنّ كلّ مآسيكم تكمن في التفرقة والاختلاف بين زعماء بلدانكم وبالتالي بينكم أنتم أنفسكم.

وقال أيضا: إثارة الاختلافات بين المذاهب الإسلامية من الخطط الإجرامية التي تدبرّها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، بالتعاون مع عملائها الضالّين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودة وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤججون نيران هذه الاختلافات باستمرار، وكل يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة، وفي كل مرحلة ينفذون خطة لإثارة الخلافات، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه.

وهكذا فإن الصورة تبدو أكثر وضوحا عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخميني وتوصياته المستمرة الى عموم المسلمين وخصوصا في مواسم الحج التي تشكّل أفضل تجمّع إسلامي تشارك فيه أعداد ضخمة من المسلمين ومن شتى بقاع المعمورة في مؤتمر ضخم لابد من أن يكرّسه المسلمون لتدارس أُمورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم، حيث أنّ الإمام ﷺ كان يواظب على إثارة هذه الأُمور الحساسة والمهمة في حياة الإسلام والمسلمين، ولم يدخر في ذلك جهداً.

كما أن الإطلاع على فتاوى الإمام _ رضوان الله تعالى عليه _ يكشف بوضوح عمق توجهه الى هذا الأمر الحيوي والدقيق، وتأكيده عليه.

فمن توجيهاته ﷺ إلى الحجاج نورد هذه الملاحظات المختصرة.

قال: يلزم على الإخوة الإيرانيين والشيعة في سائر البلدان الإسلامية أن يتجنّبوا الأعمال السقيمة المؤدّية إلى تفرقة صفوف المسلمين، ويلزم الحضور في جماعات أهل السنّة، والإبتعاد بشدة عن تشكيل صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبرّت الصوت بشكل غير مألوف وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة وعن الأعمال التي قد تكون مخالفة للشرع.

يلزم ويجزي (أي يكفي) في الوقوفين متابعة حكم القاضي من اهل السنّة، وإن حصل لكم القطع بخلافه.

على عامّة الإخوة والأخوات في الدين أن يلتفتوا إلى أن واحدا من أهم أركان فلسفة الحج إيجاد التفاهم وترسيخ الإخوة بين المسلمين.

وغير ذلك من الفتاوى المهمّة التي ندعو جميع المسلمين إلى مطالعتها والتأمّل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الإسلامية مسارها في الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين بعد رحيل الإمام الخميني _ رضوان الله تعالى عليه _ وأخذت تؤكد عليه في كل مناسبة ومكان على لسان قائدها سماحة آية الله السيد علي الخامنئي _ حفظه الله _ وباقي مسؤوليها، ولم تدّخر جهداً في العمل على اقامة هذا الأمر الشرعي المهم والدفاع عنه، من خلال توجيهاتها المستمرة في هذا المنحى او دعمها غير المحدود لكل الجهود المخلصة في هذا الميدان.

وأخيرا.. فإن هذا الكتاب المائل بين يدي القارئ الكريم _ وهو بقلم الباحث القدير الشيخ جعفر السبحاني _ دعوة للتأمّل ضمن الحدود التي أشرنا اليها في حديثنا، وهي بالتالي تعكس صورة صادقة عن حجم الهجمة الكافرة التي ارادت تمزيق الأُمّة ودفعها الى التشتت، وبيان ما اخذت من مساحة واسعة في فكر هذه الأمُة ومعتقداتها.

بل لسنا في معرض الدفاع عن الوجود المقدس لهذه الشريعة السماوية فحسب، بل ابتغينا إزاحة اللثام وإماطة الخبث عن الدسائس الخبيثة التي تريد بالأمّة الهلاك.

وقد قامت معاونية شؤون التعليم والبحوث بنشره، حتى يعم نفعه ويتعرف المسلمون على الشيعة عن كثب. والله تعالى من وراء القصد.

بِسم الله الرحمن الرحيم

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الاثني عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثني عشر إماما من بني هاشم نص عليهم رسول الله ﷺ ، كما هو معلوم للجميع، ومن ثمّ نصّ كل إمام على الإمام الذي بعد، بشكل يخلو من الشك والابهام.

لقد تضافر عن رسول الله ﷺ أنّه يملك هذه الأمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بني إسرائيل. وكما هو معلوم ومبسّط في كتب الشيعة بشكل لا يقبل الشك. إن هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلا على أئمة الشيعة والعترة الطاهرة «**واذا كان رسول الله ﷺ هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته، ومعدن الحكم وهم خزائنه، وشارع الدين وهم حفظته، وصاحب الكتاب وهم حملته**»[1] فتلزم علينا معرفتهم، كيف وهم احد الثقلين اللّذين تركهما الرسول ﷺ ، قدوة للأمّة ونوراً على جبين الدهر.

---

(١) اقتباس ممّا ذكره أمين الإسلام الطبرسي في مقدمة كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى ٣.

ونحن نحاول هنا أن نعرض في هذا الفصل موجزاً عن احوالهم وحياتهم متوخّين الاختصار والايجاز في ما نورده، لأنّ بسط الكلام عنهم يحتاج الى تدوين موسوعة كبيرة، وقد قام بذلك لفيف من علماء الإسلام فأثبتوا الشيء الكثير عن حياتهم وسيرتهم وأقوالهم، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

الإمام الأوّل: الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

إنّ الإمام علي بن أبي طالب أشهر من أن يعرّف، ولقد قام لفيف من السنّة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات عن حياته، ومناقبه، وفضائله، وجهاده، وعلومه، وخطبه، وقصار كلماته، وسياسته، وحروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فالأولى لنا الاكتفاء بالميسور في هذا المجال، واحالة القارئ الى تلك الموسوعات، بيد أنّا نكتفي هنا بذكر اوصافه الواردة في السنّة فنقول:

هو أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وأوّل القوم ايماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الهاشمي، وليد الكعبة المشرّفة، ومُطهِّرها من كل صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلهي (جامع الكوفة) في محرابه حال الصلاة سنة ٤٠ هجري.

وكل جملة من هذه الجمل، وعبارة من هذه العبارات، كلمة قدسيّة نبويّة أخرجها الحفّاظ من اهل السنّة[1].

---

(١) راجع مسند احمد ١ / ٣٣١، ٥ / ١٨٢ _ ١٨٩، حلية الأولياء ١ / ٦٢ _ ٦٨، ولاحظ الغدير ٢ / ٣٣.

الإمام علي ومكوّنات الشخصية:

تعود شخصية كل انسان _ حسب ما يرى علماء النفس _ إلى ثلاثة عوامل هامّة لكل منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها.

وكأن الشخصية الإنسانية لدى كل انسان أشبه بمثلث يتألّف من اتّصال هذه الأضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هي:

١ _ الوراثة.

٢ _ التعليم والثقافة.

٣ _ البيئة والمحيط.

إنّ كلّ ما يتّصف به المرء من صفات حسنة او قبيحة، عالية أو وضيعة تنتقل إلى الإنسان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فيه من خلال هذه الطرق.

وان الأبناء لا يرثون منّا المال والثروة والأوصاف الظاهرية فقط كملامح الوجه ولون العيون وكيفيات الجسم، بل يرثون كل ما يتمتّع به الآباء من خصائص روحية وصفات أخلاقية عن طريق الوراثة كذلك.

فالأبوان _ بانفصال جزئي «الحويمن» و«البويضة» المكوّنين للطفل منهما _ إنّما ينقلان _ في الحقيقة _ صفاتهما ملخّصة الى الخلية الأُولى المكوّنة من ذينك الجزأين، تلك الخلية الجنينية التي تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة.

ويشكّل تأثير الثقافة والمحيط، الضلعين الآخرين في مثلث الشخصية الإنسانية، فإنّ لهذين الأمرين أثراً مهمّا وعميقا في تنمية السجايا الرفيعة المودعة في باطن كل إنسان بصورة فطرية جبلية او المتواجدة في كيانه بسبب الوراثة من الأبوين.

فإن في مقدور كل معلّم ان يرسم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقي اليه من تعليمات وتوصيات وما يعطيه من سيرة وسلوك ومن آراء وأفكار، فكم من بيئة حوّلت أفراداً صالحين الى فاسدين، أو فاسدين الى صالحين.

وإن تأثير هذين العاملين المهمّين من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى المزيد من البيان والتوضيح. على أنّنا يجب أن لا ننسى دور ارادة الإنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

الإمام علي عليه السلام والجانب الموروث في شخصيته:

لم يكن الإمام علي عليه السلام كبشر بمستثنى من هذه القاعدة.

فقد ورث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جانبا كبيرا من شخصيته النفسية والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، وإليك تفصيل ذلك:

١ ـ الإمام علي عليه السلام والوراثة من الأبوين:

لقد انحدر الإمام علي من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصية هو أبو طالب، ولقد كان أبو طالب زعيم مكّة، وسيّد البطحاء، ورئيس بني هاشم، وهو إلى جانب ذلك، كان معروفا بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبّة والفداء والتضحية في سبيل الهدف المقدّس، والعقيدة التوحيديّة المباركة.

فهو الذي تكفّل رسول الله منذ توفي عنه جدّه وكفيله الأوّ عبد المطلب وهو آنذاك في الثامنة من عمره، وتولّى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته في السفر والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لا نظير لهما، بل وبقي يدافع عن رسالة التوحيد، والدين الحق الذي جاء به النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويقوم في سبيل ارساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، ويتحمّل لتحقيق هذه الأهذاف العليا كل تعب ونصب وعناء.

وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلّى موقفه هذا في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:

لـــيعلم خيـــار النـــاس أن محمـــدا ... نـــبي كموســـى والمســـيح ابـــن مـــريم

ألم تعلمـــوا أنّـــا وجـــدنا محمـــدا ... رســولا كموســى خــط في أوّ الكتــب[1]

---

(١) مجمع البيان ٤ / ٣٧.

إن من المستحيل أن تصدر امثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعا في الشعب ومقاطعتهم القاسية من دافع غير الايمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتّصف به أبو طالب، إذ لا تستطيع مجرّد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد في الإنسان مثل هذه الروح التضحوية.

إن الدلائل على ايمان أبي طالب بدين ابن اخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحقّقين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصّبين توقّف في إيمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة، بالدعوة المحمدية، بينما تجاوز فريق هذا الحد الى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنّه مات غير مؤمن.

ولو صحّت عُشر هذه الدلائل الدالة على ايمان أبي طالب الثابتة في كتب التاريخ والحديث، في حقّ رجل آخر لما شكّ أحد في ايمانه فضلاً عن إسلامه، ولكن لا يعلم الإنسان لماذا لا تستطيع كل هذه الأدّلة إقناع هذه الزمرة، وإنارة الحقيقة لهم ؟!

هذا عن والد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

وأمّا أُمّه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي من السابقات إلى الإسلام والإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد كانت قبل ذلك تتّبع ملّة إبراهيم.

إنّها المرأة الطاهرة التي لجأت _ عند المخاض _ إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول:

«يا ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي ابراهيم وانّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت و(بحق) المولود الذي في بطني إلا ما يسّرت علي ولادتي».

فدخلت فاطمة بنت اسد في الكعبة ووضعت عليّا هناك[١].

وتلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرخين والمحدّثين الشيعة، وكذا علماء الأنساب في مصنّفاتهم، كما نقلها ثلّة كبيرة من علماء السنّة وصرّحوا بها في كتبهم واعتبروها حادثة فريدة، وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل[٢].

وقال الحاكم النيسابوري: وقد تواترت الأخبار ان فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة[٣].

وقال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسي: «وكون الامير كرم الله وجهه، ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرّم الله وجهه، كما اشتهر وضعه» [٤].

٢ _ الإمام علي والتربية في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

وأمّا التربية الروحية والفكرية والأخلاقية فقد تلقّاها علي عليه السلام في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي الضلع الثاني من أضلاع شخصيته الثلاثة.

ولو أنّنا قسّمنا مجموعة سنوات عمر الإمام عليه السلام إلى خمسة أقسام لوجدنا القسم الأوّل من هذه الأقسام الخمسة من حياته الشريفة، يشكل السنوات التي قضاها عليه السلام قبل بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وانّ هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات، لأنّ اللّحظة التي ولد فيها علي عليه السلام لم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد بعث بالرسالة في سن الأربعين.

---

(١) كشف الغمة ١ / ٦٠.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٤٩، شرح الشفاء للقاضي عياض ١ / ١٥١ وغيرهما، وقد أفرد العلامة الاردوبادي رسالة في هذه المنقبة وسمّاها: علي وليد الكعبة.

(٣) شرح عينية عبد الباقي أفندي العمري ١٥.

(٤) الغدير ٦ / ٢٢.

وعلى هذا الأساس لم يكن الإمام علي عليه السلام قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة، وتوّج بالنبوّة.

إن أبرز الحوادث في حياة الإمام علي عليه السلام هو تكوين الشخصية العلوية، وتحقّق الضلع الثاني من المثلّث الذي أسلفناه بواسطة النبي الأكرم وفي ظل ما أعطاه صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام من أخلاق وأفكار، لأنّ هذا القسم في حياة كل انسان وهذه الفترة من عمره هي من اللحظات الخطيرة، والقيمّة جدّاً، فشخصية الطفل في هذه الفترة تشبه صفحة بيضاء نقيّة تقبل كل لون وهي مستعدّ لان ينطبع عليها كل صورة مهما كانت، وهذه الفترة من العمر تعتبر _ بالتالي _ خير فرصة لأن ينمّي المربّون والمعلّمون فيها كلّما أودعت يد الخالق في كيان الطفل من سجايا طيّبة وصفات كريمة، وفضائل أخلاقية نبيلة، ويوقفوا الطفل _ عن طريق التربية _ على القيم الأخلاقية والقواعد الإنسانية وطريقة الحياة السعيدة، وتحقيقا لهذا الهدف السامي تولى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه تربية علي عليه السلام بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلقيت من رسول الله حبّا شديدا لعلي حتى أنّه قال لها:

اجعلي مهده بقرب فراشي وكان صلى الله عليه وآله وسلم يطهّر علياً في وقت غسله، ويوجر اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويلاحظه ويقول: هذا أخي، ووليّي وناصري وصفيّي وذخري وكهفي، وصهري، ووصيّي، وزوج كريمتي، وأميني على وصيّتي وخليفتي[1].

ولقد كانت الغاية من هذه العناية هي ان يتم توفير الضلع الثاني في مثلّث الشخصية (وهو التربية) بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم وان لا يكون لاحد غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل في تكوين الشخصية العلوية الكريمة.

وقد ذكر الامام علي عليه السلام ما أسداه الرسول الكريم اليه وما قام به تجاهه في تلكم الفترة اذ قال:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمّ يلقمنيه»[2].

---

(١) كشف الغمة ١ / ٦٠.

(٢) نهج البلاغة _ شرح عبده _ ٢ / ١٨٢ الخطبة القاصعة.

النبي يأخذ عليّا إلى بيته:

وإذا كان الله تعالى يريد لولي دينه أن ينشأ نشأة صالحة وأن يأخذ النبي عليّا الى بيته وأن يقع منذ نعومة أظفاره تحت تربية النبي الاكرم ﷺ ، ألفت نظر نبيّه الى ذلك.

فقد ذكر المؤرخّون أنّه أصابت مكّة _ ذات سنة _ أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة، وكان أبو طالب _ رضي الله عنه _ ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشا من العدم والضائقة والجهد والفاقة: فعند ذلك دعا رسول الله عمّه العباس الى أن يتكفّل كل واحد منهما واحدا من أبناء أبي طالب وكان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس على ذلك:

فأخذ النبي عليّاً، واخذ العباس جعفراً وتكفّل أمره، وتولّى شؤونه[1].

وهكذا وللمرّة الأُخرى أصبح علي عليه السلام في حوزة رسول الله ﷺ بصورة كاملة، واستطاع بهذه المرافقة الكاملة ان يقتطف من ثمار أخلاقه العالية وسجاياه النبيلة، الشيء الكثير، وأن يصل تحت رعاية النبي وعنايته وبتوجيهه وقيادته، الى أعلى ذروة من ذرى الكمال الروحي.

وهذا هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشير إلى تلك الأيام القيّمة وإلى تلك الرعاية النبويّة المباركة المستمرّة إذ يقول:

«**ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أُمّه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به**»[2].

---

(١) بحار الأنوار ٣٥ / ٤٤، وسيرة ابن هشام ١ / ٢٤٦.

(٢) نهج البلاغة _ شرح عبده _ ٢ / ١٨٢.

علي في غار حراء

كان النبي ـ حتى قبل أن يبعث بالرسالة والنبوّ ـ يعتكف ويتعبّد في غار حراء شهراً من كل سنة، فإذا انقضى الشهر وقضى جواره من حراء انحدر من الجبل، وتوجّه إلى المسجد الحرام رأساً وطاف بالبيت سبعاً، ثمّ عاد إلى منزله. وهنا يطرح سؤال: وماذا كان شأن علي عليه السلام في تلك الأيام التي كان يتعبّد ويعتكف فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك المكان مع ما عرفنا من حب الرسول الأكرم له؟ هل كان يأخذ صلى الله عليه وآله وسلم عليا معه إلى ذلك المكان العجيب أم كان يتركه ويفارقه؟

إن القرائن الكثيرة تدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن أخذ عليا لم يفارقه يوما أبدا فهاهم المؤرّخون يقولون:

كان علي يرافق النبي دائما ولا يفارقه أبدا حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا خرج إلى الصحراء أو الجبل أخذ عليا معه[1].

يقول ابن أبي الحديد:

وقد ذكر علي عليه السلام هذا الأمر في الخطبة القاصعة اذ قال:

«**ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري**»[2].

---

(١) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣ / ٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

إن هذه العبارة وإن كانت محتملة في مرافقته للنبي في حراء بعد البعثة الشريفة إلا ان القرائن السابقة وكون مجاورة النبي بحراء كانت في الأغلب قبل البعثة، تؤيّد أنّ هذه الجملة، يمكن أن تكون اشارة الى صحبة علي للنبي في حراء قبل البعثة.

إنّ طهارة النفسيّة العلوية، ونقاوة الروح التي كان علي عليه السلام يتحلىّ بها، والتربية المستمرّة التي كان يحظى بها في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، كل ذلك كان سبباً في أن يتّصف علي عليه السلام ومنذ نعومة أظفاره _ ببصيرة نفّاذة وقلب مستنير، وأُذن سميعة واعية تمكّنه من أن يرى أشياءً ويسمع امواجاً تخفى على الناس العاديين ويتعذّر عليهم سماعها ورؤيتها، كما يصرّح نفسه بذلك اذ يقول:

«**أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة**»[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام :

«**كان علي عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة، الضوء ويسمع الصوت**».

وقد قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكا في النبوّ فإن لا تكن نبيّا فإنّك وصي نبيّ ووارثه، بل أنت سيّد الاوصياء وإمام الأتقياء[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

(٢) ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣ / ٣١٠.

ويقول الإمام علي عليه السلام: لقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان ايس من عبادته، ثمّ قال له:

«**إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنّك لست بنبي ولكنّك وزير**»[1].

هذا هو الرافد الثاني الذي كان يرفد الشخصية العلوية بالأخلاق والسجايا الرفيعة.

٣ _ البيئة الرسالية وشخصية الإمام:

ولو أضفنا ذينك الأمرين (أي ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة، وما تلقّاه في حجر النبي) الى ما أخذه من بيئة الرسالة والإسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثر عنها أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.

ومن هنا يحظى الإمام علي عليه السلام بمكانة مرموقة لدى الجميع: مسلمين وغير مسلمين، لما كان يتمتع به من شخصية سامقة، وخصوصيات خاصة يتميّز بها.

وهذا هو ما دفع بالبعيد والقريب الى ان يصف عليّاً بما لم يوصف به احد من البشر، ويخصّه بنعوت، حرم منها غيره، فهذا الدكتور شبلي شميل المتوفّى ١٣٣٥ وهو من كبار الماديين في القرن الحاضر يقول:

«**الإمام علي بن ابي طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديما ولا حديثا**»[2].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١ / ٣٧.

وقال عمر بن الخطاب:

«**عقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب**»[1].

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحي اللبناني المعروف:

«**وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن عليّا بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره**»[2].

---

(١) الغدير ٦ / ٣٨ طبعة النجف.

(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١ / ٤٩.

هذه الأبعاد التي ألمحنا اليها هي الأبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.

البعد الرابع لشخصية الإمام عليه السلام:

غير أن أبعاد شخصية الإمام علي عليه السلام لا تنحصر في هذه الأبعاد الثلاثة، فإنّ لأولياء الله سبحانه بعداً رابعاً، داخلاً في هوية ذاتهم، وحقيْة شخصيتهم وهذا البعد هو الذي ميّزهم عن سائر الشخصيات وأضفى عليهم بريقا خاصّا ولمعانا عظيما.

وهذا البعد هو البعد المعنوي الذي ميّز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة وثلّة مختارة من بين الناس وهو كونهم رسل الله وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصياء أنبيائه.

نرى أنّه سبحانه يأمر رسوله أن يصف نفسه بقوله: (قُل سُبحان رَبِّي هَل كُنت إلا بَشَرا رَسُولا)[1].

فقوله: (بَشَرا) إشارة الى الأبعاد البشرية الموجودة في كل انسان طبيعي، وإن كانوا يختلفون فيها في ما بينهم كمالا ولمعانا.

وقوله: (رَسُولا) إشارة إلى ذلك البعد المعنوي الذي ميّزه صلى الله عليه وآله وسلم عن الناس وجعله معلّما وقدوة للبشر.

فلأجل ذلك يقف المرء في تحديد الشخصيات الإلهية على شخصية مركّبة من بعدين: طبيعي وإلهي ولا يقدر على توصيفها إلا بنفس ما وصفهم الله به سبحانه مثل قوله في شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

(الَّذِين يَتَّبِعُون الرَّسُول النَّبِيَّ الأُمِيَّ الَّذِي يَجِدُونَه مَكتُوبا عِندَهُم في التَّوراة وَالإنجِيل يَأمرهُم بِالمعرُوف يَنهَاهُم عَنِ المُنكَرِ يُحِلُّ لَهُم الطَّيِّبات وَيُحَرِّمُ عَلَيهِم الخَبائث وَيَضَعُ عَنهُم إصرَهُم وَالأغلال الَّتي كانَت عَلَيهِم)[2] وقد نزلت في حق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام آيات ووردت روايات.

كيف وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن ابي طالب عليه السلام**»[3].

---

(١) الاسراء / ٩٣.

(٢) الأعراف / ٥٧.

(٣) أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ٤ / ٤١٠.

وقال ﷺ:

«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي فليوال عليّاً بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمتّي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[1].

وقال الإمام أحمد بن حنبل:

ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي _ رضي الله عنه _[2].

وقال الإمام الفخر الرازي:

من اتّخذ عليّا إماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه[3].

وقال أيضا:

من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى لقول النبي ﷺ: اللّهم أدر الحق مع علي حيث دار [4].

---

(١) أخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ١ / ٨٦.

(٢) مناقب أحمد لابن الجوزي الحنبلي ١٦٣.

(٣) تفسير مفاتيح الغيب ١ / ٢٠٥.

(٤) المصدر نفسه ٢٠٤.

تسليط الضوء على شخصيته السامية

لا عتب على اليراع لو وقف عند تحديد شخصية كريمة معنوية خصّها الله تعالى بمواهب وفضائل، وكفى في ذلك ما رواه طارق بن شهاب، قال: كنت عند عبد الله بن عباس فجاء أُناس من أبناء المهاجرين فقالوا له: يا بن عباس أي رجل كان علي بن أبي طالب؟

قال: ملئ جوفه حكما وعلما وبأسا ونجدة وقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [١].

روى عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل في القرآن : (يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا) إلا وعلي عليه السلام رأسها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر عليّاً إلاّ بخير[٢].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي[٣].

وقال ابن عباس: نزلت في علي أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه [٤].

ونكتفي في ترجمة علي عليه السلام بكلمتين عن تلميذيه اللذين كانا معه سرّ وجهرا:

---

(١) شواهد التنزيل ١ / ١٠٨ ح ١٥٣.

(٢) مسند أحمد ١ / ١٩٠، تاريخ الخلفاء ١٧١.

(٣) الصواعق المحرقة، الباب التاسع، الفصل الثالث ٧٦.

(٤) تاريخ الخلفاء ١٧٢.

١ ــ قال ابن عباس ــ عندما سئل عن علي فقال ــ: رحمة الله على أبي الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى وطود النهى ومحل الحجى وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر في الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى ومستمسكاً بالعروة الوثقى، أتقى من تقمّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين، وابو السبطين، وزوجته خير النساء فما يفوقه احد، لم تر عيناي مثله، ولم أسمع بمثله، فعلى من أبغضه لعنة الله ولعنة العباد الى يوم التناد[١].

٢ ــ إنّ معاوية سأل ضراراً بن حمزة بعد موت علي عنه، فقال: صف لي عليّاً، فقال: اوتعفيني؟ قال: صفه، قال: اوتعفيني؟ قال: لا أعفيك، قال: أما إذ لابد فأقول ما أعلمه منه:

والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفّيه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا اذا اتيناه، ويأتينا اذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلّمه هيبة، ولا نبتدئه عظمة، إن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوّقت؟ هيهات، هيهات غرّي غيري قد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمّه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها[٢].

هذه شذرات من فضائله، وقبسات من مناقبه الكثيرة التي حفظها التاريخ عن تلاعب الأيدي.

غير أنّه لا يعرف عليّاً غير خالقه، وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) ميزان الإعتدال ١ / ٤٨٤.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٨ / ٢٢٥ وغيره.

تنصيب علي عليه السلام للإمامة:

لا شك في أنّ الدين الإسلامي دين عالمي، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأُمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضي أن يوكل مقام القيادة بعده الى أفضل أفراد الأُمّة وأكملهم.

إن في هذه المسألة وهي أن منصب القيادة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هو منصب تنصيصي تعييني أو أنّه منصب انتخابي؟ اتّجاهين:

فالشيعة ترى أن مقام القيادة منصب تنصيصي، ولابدّ أن ينصّ على خليفة النبيّ من السماء، بينما يرى اهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابي جمهوري، أي أنّ على الأُمّة ان تقوم بعد النبي باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد.

إنّ لكل من الاتّجاهين المذكورين دلائل، ذكرها أصحابهما في الكتب العقائدية، إلاّ أنّ ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة في ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة في عصر الرسالة، فإنّ هذه الدراسة كفيلة باثبات صحّة أحد الاتجاهين.

إن تقييم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأن خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابدّ أن يعيّن من جانب الله تعالى، ولا يصحّ أن يوكّل هذا إلى الأُمّة، فإنّ المجتمع الإسلامي كان مهدّدا على الدوام بالخطر الثلاثي (الروم _ الفرس _ المنافقين) بشنّ الهجوم الكاسح، وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الأمّة كانت توجب أن يوحّد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي، وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده، وبذلك يسد الطريق على نفوذ العدو في جسم الأمّة الإسلامية والسيطرة عليها، وعلى مصيرها.

وإليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

لقد كانت الإمبراطورية الرومانية احد أضلاع الخطر المثلث الذي يحيط بالكيان الإسلامي، ويهدّده من الخارج والداخل.

وكانت هذه القوّة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية، وكانت تشغل بال النبي القائد على الدوام، حتى أنّ التفكير في أمر الروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت أوّ مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الثامنة من الهجرة في أرض فلسطين، وقد أدّت هذه المواجهة إلى استشهاد القادة العسكريين البارزين الثلاثة وهم «جعفر الطيار» و«زيد بن حارثة» و«عبد الله بن حارثة».

ولقد تسبّب انسحاب الجيش الإسلامي بعد استشهاد القادة المذكورين الى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة على رأس جيش كبير جدا إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش في هذا الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة، ويجدّد حياته السياسية:

غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله ﷺ ، فأعد قُبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين، وأمّر عليهم«أُسامة بن زيد»، وكلّفهم بالتوجّه الى حدود الشام، والحضور في تلك الجبهة.

أما الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يهدّد الكيان الإسلامي، فكان الإمبراطورية الإيرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الإمبراطورية على رسول الله ﷺ ومعاداتها لدعوته، أن أقدم امبراطور ايران «خسرو برويز» على تمزيق رسالة النبي ﷺ ، وتوجيه الإهانة الى سفيره باخراجه من بلاطه، والكتابة الى واليه وعميله باليمن بأن يوجّه الى المدينة من يقبض على رسول الله ﷺ ، أو يقتله إن امتنع.

و«خسرو» هذا وإن قتل في زمن رسول الله ﷺ إلا أن استقلال اليمن _ التي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الإيرانية ردحا طويلا من الزمان _ لم يغب عن نظر ملوك ايران آنذاك، وكان غرور اولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم.

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس على تقويض دعائم الكيان الإسلامي من الداخل الى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول الله ﷺ ، في طريق العودة من تبوك الى المدينة.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه، انّ الحركة الإسلامية سينتهي امرها بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورحيله، وبذلك يستريح الجميع.

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة الى الامّة الإسلامية من الداخل وذلك عندما اتى عليا عليه السلام وعرض عليه ان يبايعه ضدّ من عيّنه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الامّة الإسلامية الواحدة الى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن من التصيّد في الماء العكر.

ولكن الإمام عليا عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونواياه الشريرة:

«والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً. لا حاجة لنا في نصيحتك»[1].

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدّة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم في سور عديدة هي: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقين والحشر.

---

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٢٢، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الاعداء الألداء والاقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصح أن يترك رسول الله ﷺ أُمّته الحديثة العهد بالإسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعين لهم قائدا دينيا سياسيا؟

إن المحاسبات الاجتماعية تقول: إنه كان من الواجب أن يمنع رسول الإسلام بتعيين قائد للأمّة،... من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية بايجاد حصن قوي وسياج دفاعي متين حول تلك الامّة.

إنّ تحصين الأمّة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون مطالبة كل فريق «الزعامة» لنفسه دون غيره، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن ليتحقّق، إلاّ بتعيين قائد للامّة، وعدم ترك الامور للأقدار.

إنّ هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا الى صحّة نظرية «التنصيص على القائد بعد رسول الله ﷺ » ولعل لهذه الجهة ولجهات اخرى طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الايام الاولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتى الساعات الاخيرة منها، حيث عيّن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، وفي نهايتها أيضا. وإليك بيان كلا هذين المقامين:

١ _ النبوّ والإمامة توأمان:

بغضّ النظر عن الأدلّة العقلية والفلسفية التي تثبت صحّة الرأي الأوّل بصورة قطعية، هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأي الذي ذهب اليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نص النبي ﷺ على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من محال الانتخاب الشعبي والرأي العام.

فهو لم يعين (ولم ينص على) خليفته ووصيه من بعده في أُخريات حياته فحسب، بل بادر الى التعريف بخليفته ووصيه في بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعد سوى بضع عشرة من الاشخاص، وذلك يوم امر من جانب الله العلي القدير ان ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلهي الأليم. وأن يدعوهم الى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع رسالته للجميع ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع اربعين رجلاً من زعماء بني هاشم وبني المطلب، ثمّ وقف فيهم خطيباً فقال:

«**أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على ن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟**».

فأحجم القوم، وقام عليّ عليه السلام وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برقبته، والتفت الى الحاضرين، وقال:

«**إن هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم**»[1].

وقد عرف هذا الحديث عند المفسّرين والمحدّثين: ب «حديث يوم الدار» و«حديث بدء الدعوة».

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته، بل صرّح في مناسبات شتّى في السفر والحضر، بخلافة علي عليه السلام من بعده، ولكن لا يبلغ شيء من ذلك في الاهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

٢ _ قصة الغدير:

لما انتهت مراسيم الحج، وتعلّم المسلمون مناسك الحجّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرحيل عن مكة، والعودة الى المدينة، فأصدر امراً بذلك، ولما بلغ موكب الحجيج العظيم الى منطقة «رابغ»[2] التي تبعد عن «الجحفة»[3] بثلاثة أميال، نزل امين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنطقة تدعى «غدير خم»، وخاطبه بالآية التالية:

(يا أيُّها الرَّسُول بَلِّغ مَا أُنْزِلَ إِلَيك مِن رَبِّك وإن لم تَفعَل فَما بَلَّغت رِسالَته وَاللّه يَعصِمُك مِن النّاس) [4].

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٦٢ و٦٣.

(٢) رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة.

(٣) من مواقيت الإحرام وتنشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين.

(٤) المائدة / ٦٧.

إن لسان الآية وظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي ﷺ مسؤولية القيام بمهمّة خطيرة، وأيّ امر اكثر خطورة من أن ينصّب علياً عليه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد؟!

من هنا أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمره بالتوقّف، فتوقّف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة ، وكان المناخ حارّاً الى درجة كبيرة جداً، وكان الشخص يضع قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه،وصنع للنبي ﷺ مظلّة وكانت عبارة عن عباءة أُلقيت على اغصان شجرة (سمرة)، وصلّى رسول الله ﷺ بالحاضرين الظهر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطوا به صعد ﷺ على منبر أعدّ من احداج الإبل وأقتابها، وخطب في الناس رافعاً صوته، وهو يقول:

«**الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات اعمالنا الذي لا هادي لمن اضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلاّ هو، وأنّ محمداً عبده ورسوله.**

أمّا بعد: ايّها الناس انّي أوشك ان أدعى فأجيب، وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا انتم قائلون؟»

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال ﷺ: «**ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأنّ جنّته حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟**».

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال ﷺ : «**اللّهم اشهد**».

ثم قال ﷺ: «**وإنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبدا**».

فنادى مناد: بأبي أنت وأمي يا رسول الله وما الثقلان؟

قال ﷺ: « **كتاب الله سبب طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به، والآخر عترتي، وانّ اللطيف الخبير نبّأني إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا**».

وهنا اخذ بيد «علي عليه السلام » ورفعها، حتى رؤي بياض ابطيهما، وعرفه الناس اجمعون ثمّ قال:

«أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا اولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه[1].

اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبّه، وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار»[2].

---

(١) لقد كرّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لاي التباس او اشتباه.

(٢) راجع للوقوف على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني رحمه الله

فلمّا نزل من المنبر، استجاز حسان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام وأنشد:

ينـــاديهم يـــوم الغـــدير نبـــيّهم بخـــم وأكـــرم بـــالنبي مناديـــا
يقـــول فمـــن مـــولاكم ووليـــكم فقـــالوا ولم يبـــدوا هنـــاك التعاميـــا
إلهـــك مولانـــا وأنـــت وليّنـــا ولم تَـــر منّـــا في الولايـــة عاصـــيا
فقـــال لـــه قـــم يـــا علـــي فـــانّني رضـــيتك مـــن بعـــدي إمامـــا وهاديـــا
فمـــن كنـــت مـــولاه فهـــذا وليّـــه فكونـــوا لـــه أنصـــار صـــدق مواليـــا
هنـــاك دعـــا: اللهّـــم! وال وليّـــه وكـــن للـــذي عـــادى عليـــا معاديـــا

مصادر الواقعة:

هذه هي واقعة الغدير استعرضناها لك على وجه الإجمال، وهي بحق واقعة لا يسوغ لاحد انكارها بأدنى مراتب التشكيك والقدح، فقد تناولها بالذكر أئمّة المؤرخين امثال: البلاذري، وابن قتيبة، والطبري، والخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وابن عساكر، وياقوت الحموي، وابن الاثير، وابن ابي الحديد، وابن خلّكان، واليافعي، وابن كثير، وابن خلدون، والذهبي، وابن حجر العسقلاني، وابن الصباغ المالكي، والمقريزي، وجلال الدين السيوطي، ونور الدين الحلبي الى غير ذلك من المؤرّخين الذين جادت بهم القرون والاجيال.

كما ذكره ايضا أئمّة الحديث امثال: الإمام الشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن ماجة، والترمذي، والنسائي، وأبو يعلى الموصلي، والبغوي، والطحاوي، والحاكم النيسابوري، وابن المغازلي، والخطيب الخوارزمي، والكنجي، ومحب الدين الطبري، والحموييني، والهيثمي، والجزري، والقسطلاني، والمتقي الهندي، وتاج الدين المناوي، وأبو عبد الله الزرقاني، وابن حمزة الدمشقي الغير ذلك من أعلام المحدّثين الذين يقصر المقال عن عدّهم وحصرهم.

كما تعرض له كبار المفسرين، فقد ذكره: الطبري، والثعلبي، والواحدي في أسباب النزول، والقرطبي، وأبو السعود، والفخر الرازي، وابن كثير الشامي، والنيسابوري، وجلال الدين السيوطي، والآلوسي، والبغدادي.

وذكره من المتكلّمين طائفة جمّة في خاتمة مباحث الإمامة وإن ناقشوا نقضا وإبراما في دلالته كالقاضي أبي بكر الباقلاني في تمهيده، والقاضي عبد الرحمن الايجيي في مواقفه، والسيد الشريف الجرجاني في شرحه، وشمس الدين الاصفهاني في مطالع النوار، والتفتازاني في شرح المقاصد، والقوشجي في شرح التجريد الى غير ذلك من المتكلّمين الذين تعرضوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالته ووجه الحجة فيه.

واقعة الغدير ورمز الخلود:

أراد المولى عز وجل أن يبقى حديث الغدير غضّا طريا على مر الأجيال لم يُكدِّ صفاء حقيقته الناصعة تطاول الاحقاب، وكرّ الأزمان، وانصرام الاعوام، ويرجع ذلك الى امور ثلاثة:

١ ــ إن النبي ﷺ قد هتف به في مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف عند منصرفه من الحج الاكبر، فنهض بالدعوة والاعلان، وحوله جموع من وجوه الصحابة وأعيان الامّة، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافّة على علم وخبر بما تم إبلاغه.

٢ ــ إن الله سبحانه قد أنزل في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ الى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ ــ (يا أيُّها الرَّسُول بَلِّغ مَا أُنزِلَ إِلَيك مِن رَبِّك وإن لم تَفعَل فَما بَلَّغت رِسالَته وَاللهُ يَعصِمُك مِن النّاس) [١].

وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير لفيف من المفسّرين يربو عددهم على الثلاثين، وقد ذكر العلاّمة البحّاثة المحقق الأميني في كتاب «الغدير» نصوص عبارات هؤلاء، فمن أراد الاطلاع عليها، فليرجع إليه.

ب ــ (اليَوم أَكمَلت لَكُم دِينكُم وَأَتمَمت عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضِيت لَكُم الإسلام دِينا) [٢].

---

(١) المائدة / ٦٧.

(٢) المائدة / ٣.

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستة عشر.

ج ـ (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ) [1].

وقد ذكر أيضاً نزول هذه الآية جماعة من المفسّرين ينوف على الثلاثين، أضف الى ذلك أنّ الشيعة عن بكرة أبيهم متّفقون على نزول هذه الآيات الثلاث في شأن هذه الواقعة[2].

٣ ـ إنّ الحديث منذ صدوره من منبع الوحي، تسابقت الشعراء والأدباء على نظمه، وانشاده في ابيات وقصائد امتدّت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النص في تلك المناسبة الى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات، وقد تمكّن البحّاثة المتضلّع العلاّمة الأميني من استقصاء وجمع كل ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة، والمؤمّل والمنتظر من كافة المحققين على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم استنهاض هممهم لجمع ما نظم وأُنشد في أدبهم الخاص.

وحصيلة الكلام: قلّما نجد حادثة تاريخية حطيت في العالم البشري عامّة، وفي التاريخ الإسلامي والأُمة الإسلامية خاصّة بمثل ماحظيت به واقعة الغدير، وقلّما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدّثين والمفسّرين والكلاميين والفلاسفة والأُدباء والكتّاب والخطباء وأرباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، وقلّما اعتنوا بشيء مثلما اعتنوا بها.

---

(١) المعارج / ١ ـ ٣.

(٢) راجع كتاب الغدير في شأن نزول هذه الآيات ج ١ ص ٢١٤ و٢١٧.

هذا ويستفاد من مراجعة التاريخ إن يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام كان معروفا بين المسلمين بيوم عيد الغدير، وكانت هذه التسمية تحظى بشهرة كبيرة الى درجة أن ابن خلكان يقول حول «المستعلى ابن المستنصر»:

«فبويع في يوم غدير خم، وهو الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٨٧ هجري»:

وقال في ترجمة المستنصر بالله العباسي: «وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة، قلت، وهذه هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو غدير خم»[١].

وقد عدّه أبو ريحان البيروني في كتابه الآثار الباقية «ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد»[٢].

وليس ابن خلّكان، وأبو ريحان البيروني، هما الوحيدان اللذان صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الأعياد، بل هذا الثعالبي قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين» [٣].

إنّ عهد هذا العيد الإسلامي، وجذوره ترجع الى نفس يوم «الغدير» لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر المهاجرين والأنصار، بل امر زوجاته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول على علي عليه السلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أوّ ّ من صافح النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليّا: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس[٤].

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ترجمة الآثار الباقية ص ٣٩٥، الغدير ج ١ ص ٢٦٧.

(٣) ثمار القلوب ص ٥١١.

(٤) راجع مصدره في الغدير ج ١ ص ٢٧٠.

بعض خصائصه

يطيب لي أن أُشير الى بعض خصائصه قياما ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الإسلام والمسلمين عامة، فنقول: إن له خصائص لم يشترك فيها أحد:

١ ـ ولادته في جوف الكعبة.

٢ ـ احتضان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم له منذ صغره.

٣ ـ سبقه الجميع في الإسلام.

٤ ـ مؤاخاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له من دون باقي الصحابة.

٥ ـ حمله من قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كتفه لطرح الأصنام الموضوعة في الكعبة.

٦ ـ استمرار ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من صلبه.

٧ ـ بصاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عينيه يوم خيبر، ودعاؤه له بأن لا يصيبه حر ولا قر.

٨ ـ إن حبّه إيمان وبغضه نفاق.

٩ ـ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باهل النصارى به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.

١٠ ـ تبليغه سورة براءة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١١ ـ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصّه يوم الغدير بالولاية.

١٢ ـ أنّه القائل: « **سلوني قبل أن تفقدوني**».

١٣ ـ إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خصّه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه.

١٤ ـ إنّ الناس جميعاً من أرباب الأديان، وغيرهم ينظرون اليه كأعظم رجل عرفه التاريخ[١].

---

(١) قد استخرج هذه الخصائص الكاتب القدير محمّد جواد مغنية رحمه الله في كتابه: الشيعة والتشيع ٢٣٤.

الإمام الثاني: أبو محمّد الحسن بن علي عليهما السلام المجتبى

هو ثاني أئمّة أهل البيت الطاهر، وأوّل السبطين، وأحد سيّدي شباب اهل الجنّة، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحد الخمسة من أصحاب الكساء، أُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيّدة نساء العالمين.

ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وهو أوّل أولاد علي وفاطمة عليهما السلام .

نسب كان عليه من شمس الضحى نور ومن فلق الصباح عمودا

وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكن احد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن بن علي عليهما السلام .[1]

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعلي: سمّه، فقال: «ما كنت لاسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم »، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخرج اليه فقال: «اللّهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى.

أشهر ألقابه: التقي والزكي والسبط.

أمّا علمه: فيكفي إنّه كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجتمع الناس حوله فيتكلّم بما يشفي غليل السائل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الإمام ابو الحسن علي بن احمد الواحدي في تفسير الوسيط: أن رجلا دخل الى مسجد المدينة فوجد شخصا يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والناس حوله مجتمعون فجاء اليه الرجل، قال: أخبرني عن (شاهد ومشهود) ؟ فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة.

فتجاوزه الى آخر غيره يحدّث في المسجد، سأله عن (شاهد ومشهود) قال: أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود يوم النحر.

---

(١) ابن الصباغ المالكي (المتوفى عام ٨٥٥ هجري): الفصول المهمّة ١٥٢.

قال: فتجاوزه الى ثالث، غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدّث في المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود، فقال: «نعم، أمّا الشاهد فرسول الله ﷺ وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته عزّ وجلّ يقول: ﴿يا أيُّها النبِيُّ إنّا أرسلناك شاهِدا وَمُبشِّرا وَنَذِيرا﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿ذلِك يَوم مَجمُوع لَه النّاس وذلِك يَوم مَشهُود﴾»[2].

فسأل عن الأوّل، فقالوا: ابن عباس، وسأل عن الثاني، فقالوا: ابن عمر، وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام.[3]

وأمّا زهده: فيكفي في ذلك ما نقله الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أنه عليه السلام قال: «**إنّي لأستحي من ربّي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته**» فمشى عشرين مرّة من المدينة الى مكّة على قدميه.

وروي عن الحافظ أبي نعيم في حليته ايضا: أنّه عليه السلام خرج من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرّات ماله وتصدّق به.

وكان عليه السلام من أزهد الناس في الدنيا ولذّاتها، عارفاً بغرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان عليه السلام يتمثّل بهذا البيت شعرا:

يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها ... فغرّها أنّ لذّاتها لمق[4]

---

(١) الأحزاب / ٤٥.

(٢) هود / ١٠٣.

(٣) بحار الأنوار ١ / ١٣.

(٤) ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمّة ١٥٤.

وأمّا حلمه: فقد روى ابن خلّكان عن ابن عائشة: إن رجلا من اهل الشام قال: دخلت المدينة _ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام _ فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه، فمال قلبي إليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طالب، فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله، فصرت اليه وقلت له: أأنت ابن علي بن أبي طالب؟ قال: «أحسبك غريبا»؟ قلت: أجل، قال: «**هل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال آتيناك أو إلى حاجة عاونّاك**» قال: فانصرفت عنه وما على الارض أحبّ اليّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلا شكرته وخزيت نفسي[1].

وأمّا إمامته: فيكفي في ذلك ما صحّ به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قوله: «**هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا...**».

وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين عليه السلام حين أوصى الى ابنه الحسن عليه السلام وأشهد على وصيته الحسين عليه السلام ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع اليه الكتاب والسلاح وقال له: «**يا بني إنّه أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أوصي اليك، وأدفع اليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك اذا حضرك الموت أن تدفعها الى اخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين عليه السلام فقال: وأمرك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن تدفعها الى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها الى ابنك محمّد بن علي فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام**»[2].

---

(١) ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٢ / ٦٨.

(٢) الشيخ الطبرسي (٢٠٧ _ ٢٠٨ هجري): إعلام الورى بأعلام الهدى، ومن أراد الوقوف على نصوص امامته فعليه أن يرجع الى الكافي ١ / ٢٩٧، واثبات الهداة ٢ / ٥٤٣ _ ٥٦٨ فقد نقل خمسة نصوص في المقام.

روى أبو الفرج الاصفهاني: انّه خطب الحسن بن علي بعد وفاة امير المؤمنين علي عليه السلام وقال: «**قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقية من عطائه أراد أن يبتاع بها خادما لاهله**».

ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثم قال: «**أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد صلى الله عليه وآله وسلم أنا ابن البشير: أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي الى الله عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه اذ يقول: (مَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ حُسنا)** [1] **فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت**».

قال أبو مخنف عن رجاله: ثم قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس الى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وحقّه بالخلافة، فبايعوه[2].

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الامراء، وأنفذ عبد الله بن العباس الى البصرة، ونظر في الأُمور[3].

وقال أبو الفرج الاصفهاني: وكان أوّل شيء أحدثه الحسن أنّه زاد في المقاتلة مائة مائة، وقد كان علي فعل ذلك يوم الجمل، وهو فعله يوم الاستخلاف، فتبعه الخلفاء بعد ذلك[4].

---

(١) الشورى / ٢٣.

(٢) مقاتل الطالبيين ٥٢.

(٣) المفيد: الارشاد ١٨٨.

(٤) مقاتل الطالبيين ٥٥.

قال المفيد: فلمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دسّ رجلاً من حمير الى الكوفة، ورجلاً من بني القين الى البصرة ليكتبا اليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميري من عند لحام في الكوفة فأخرج وأمر بضرب عنقه. وكتب الى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فأخرج وضربت عنقه[1].

ثم إنّه استمرت المراسلات[2] بين الحسن معاوية وانجر ّ الى حوادث مريرة الى أن لأ ّ الى الصلح واضطرّ الى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فعقدا صلحاً واليك صورته.

---

(١) المفيد: الارشاد ١٨٨، مقاتل الطالبيين ٥٢.

(٢) ومن أراد الوقوف عليها فليرجع الى مقاتل الطالبيين ٥٣ الى ٧٢ وبالامعان فيها وما أظهر أصحابه من التخاذل، يتضح سر صلح الإمام وتنازله عن الخلافة فلم يصالح إلا أنّه أتم الحجّة عليهم، ومن اراد التفصيل فليرجع الى صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين.

صلح الحسن عليه السلام مع معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلّم اليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد الى احد من بعده عهداً، على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم وحجازهم.

وعلى أنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لاخيه الحسين ولا لاحد من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سوء سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً في أفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان ، وكفى بالله شهيدا[1].

ولما تم الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون. ألا وإني كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي هاتين لا أفي بشيء منها له[2].

---

(١) ابن صباغ المالكي: الفصول المهمة ١٦٣.

(٢) المفيد: الارشاد ١٩١ طبعة النجف.

شهادته:

لما نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن عليه السلام وما كان ذلك بغريب على رجل أبوه أبو سفيان وأمّه هند، وهو طليق ابن طلقاء _ عمد الى اخذ البيعة ليزيد ولده _ المشهور بمجونه وتهتكه وزندقته _ وما كان شيء أثقل عليه من امر الحسن بن علي عليهما السلام فدس إليه السم، فمات بسببه.

فقد روي: أن معاوية أرسل الى ابنة الأشعث (وكانت تحت الحسن عليه السلام) إني مزوّجك بيزيد ابني على أن تسمّي الحسن بن علي. وبعث إليها بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّت الحسن، فسوّغها المال ولم يزوّجها منه[1].

فلمّا دنا موته أوصى لاخيه الحسين عليه السلام وقال: «اذا قضيت نحبي غسّلني وكفّني واحملني على سريري الى قبر جدي ّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ ردّني الى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد فادفنّي هناك، وبالله أقسم عليك أن تهريق في امري محجمة دم.

فلمّا حملوه الى روضة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يشكّ مروان ومن معه من بني أميّة انّهم سيدفنونه عند جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتجمّعوا له ولبسوا السلاح، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا احب!! وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجاء هي خير من دعةٍ، أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي. وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أميّة. ولاجل وصيّة الحسن مضوا به الى البقيع ودفنوه عند جدته فاطمة بنت أسد[2].

وتوفي الحسن وله من العمر ٤٧ عاما وكانت سنة وفاته سنة ٥٠ من الهجرة النبويّة. والعجيب أن مروان بن الحكم حمل سريره الى البقيع فقال له الحسين: «**أتحمل سريره!! أما والله لقد كنت تجرّعه الغيظ**» فقال مروان: إني كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[3].

---

(١) مقاتل الطالبيين ٧٣.

(٢) الارشاد ١٩٣، كشف الغمة ١ / ٢٠٩، مقاتل الطالبيين ٧٤ _ ٧٥.

(٣) مقاتل الطالبيين ٧٦.

ولما بلغ معاوية موت الحسن عليه السلام سجد وسجد من حوله وكبّر وكبّروا معه، ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد البر في الاستيعاب وغيرهما.

فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتا ظاهر النخوة إذ مات الحسن

يا ابن هند إن تذق كأس الردى تك في الدهر كشيء لم يكن

لست بالباقي فلا تشمت به كل حيّ للمنايا مرتهن[1]

هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير ممّا يرجع الى جوانب حياته، خصوصاً ما نقل عنه من الخطب والرسائل والكلم القصار، ومن أراد التفصيل فليرجع الى تحف العقول[2] فقد ذكر قسما كبيرا من كلماته.

---

(١) الأمين العاملي: في رحاب أئمّة أهل البيت ٤٣.

(٢) الحرّاني، حسن بن شعبة، تحف العقول ٢٢٥ _ ٢٣٦.

الإمام الثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام سيد الشهداء

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر، وثاني السبطين، وسيدي شباب أهل الجنّة، وريحانتي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيد الشهداء، وأمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولد في المدينة المنوّرة في الثالث من شعبان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة، ولما ولد جيء به الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستبشر به، وأذن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، فلمّا كان اليوم السابع سمّاه حسينا، وعقّ عنه بكبش، وأمر أُمّه ان تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضّة، كما فعلت بأخيه الحسن، فامتثلت عليها السلام ما أمرها به.

ولقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة، وقيل يوم السبت، وكان قد ادرك من حياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم خمس أو ست سنوات، وعاش مع ابيه ٣٦ سنة، ومع اخيه ٤٦ سنة.

إنّ حياة الإمام الحسين من ولادته الى شهادته حافلة بالأحداث، والاشارة _ فضلا عن الاحاطة _ الى كل ما يرجع اليه يحتاج الى تأليف مفرد، وقد أغنانا في ذلك ما كتبه المؤلّفون والباحثون عن جوانب من حياته عليه السلام حيث تحدثوا في مؤلّفاتهم المختلفة عن النصوص الواردة من جدّه وأبيه في حقّه، وعن علمه ومناظراته ، وخطبه وكتبه وقصار كلمه، وفصاحته وبلاغته، ومكارم أخلاقه وكرمه وجوده، وزهده، وعبادته، ورأفته بالفقراء والمساكين، وعن أصحابه والرواة عنه، والجيل الذي تربّى على يديه. وذلك في مؤلّفات قيمة لا تعد ولا تحصى.

غير أن للحسين عليه السلام وراء ذلك، خصيصه أُخرى وهي كفاحه وجهاده الرسالي والسياسي الذي عُرِفَ به، والذي اصبح مدرسة سياسية دينية، لعلها أصبحت الطابع المميز له عليه السلام والصبغة التي اصطبغت حياته الشريفة بها، وأسوة وقدوة مدى اجيال وقرون، ولم يزل منهجه يؤثّر في ضمير الامّة ووعيها، ويحرّك العقول المتفتّحة، والقلوب المستنيرة الى التحرّك والثورة ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدّة .

وها نحن نقدم اليك نموذجاً من غرر كلماته في ذلك المجال حتى تقف على كفاحه وجهاده أمام التيارات الإلحادية والانهيار الخلقي.

إباؤه للضيم ومعاندة الجور:

لما توفّي أخوه الحسن في العام الخمسين من الهجرة أوصى اليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون اليه في حلّهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون في المدينة يكتبون اليه ما يكون من الاحداث المهمّة التي لا توافق هوى السلطة الاموية المنحرفة، والتي قد تشكل خطراً جدياً على وجودها غير المشروع، ولقد كان هم هذه السلطة هو الإمام الحسين عليه السلام لما يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن في الحق، ومن هنا فقد كتب مروان بن الحكم _ وكان عامل معاوية على المدينة _: إن رجالا من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي وأنّه لا يأمن وثوبه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغني انّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن ان يكون هذا ايضاً لما بعده.

ولما بلغ الكتاب الى معاوية كتب رسالة الى الحسين وهذا نصّها: أمّا بعد: فقد انتهت الي أمور عنك ان كانت حقا فإني أرغب بك عنها، ولعمر الله انّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وأنّ حقّ الناس بالوفاء من كان في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله لها...[1].

ولما وصل الكتاب الى الحسين بن علي، كتب اليه رسالة مفصّلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقتبس منها ما يلي:

«ألست قاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على الله واستخفافا بعهده.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال.

أولست المدعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعمّدا وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويُسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأمّة وليسوا منك.

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٦٣.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم على دين علي _ صلوات الله عليه _ فكتبت اليه: أن اقتل كل من كان على دين عليّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف»[1].

هذا هو الحسين، وهذا هو إباؤه للضيم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين في عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التي ضبطها التاريخ.

رفضه البيعة ليزيد:

لما هلك معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ هجرية كتب يزيد الى الوليد بن عتبة والي المدينة أن يأخذ الحسين عليه السلام بالبيعة له، فأنفذ الوليد الى الحسين عليه السلام فاستدعاه، فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال: «**اجلسوا على الباب، فإذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا علي**».

وصار عليه السلام إلى الوليد فنعى الوليد اليه معاوية فاسترجع الحسين عليه السلام ثم قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية، فقال الحسين عليه السلام «**إني لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سرا حتى أبايعه جهرا فيعرف ذلك الناس**»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين عليه السلام: «**فتصبح وترى رأيك في ذلك**» فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى، فقال مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها ابدا حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع او تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين عليه السلام وقال: «**أنت يا بن الزرقاء تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت**» ثم خرج[2].

---

(١) الإمامة والسياسة ١ / ١٦٤.

(٢) الشيخ المفيد: الارشاد ٢٠٠ طبع النجف.

وأصبح الحسين من غده يستمع الاخبار، فاذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه فقال: أبا عبد الله إنّي أرشدك لبيعة يزيد فانّها خير لك في دينك وفي دنياك، فاسترجع الحسين وقال: «**إنّا لله وإنّا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام اذا بليت الأمّة براع مثل يزيد، ثمّ قال: يا مروان أترشدني لبيعة يزيد!! ويزيد رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول وزللاً، ولا الومك فإنّك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب ابيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، اليك عنّي يا عدوّ الله، فإنّا أهل بيت رسول الله الحق فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدّي رسول الله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فاذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما امروا فابتلاهم بابنه يزيد**»[1].

ثم إن الحسين غادر المدينة الى مكة، ولما بلغ اهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا الى الحسين رسائل وينفذوا رسلا طالبين منه القدوم اليهم في الكوفة لانّ القوم قد بايعوه ونبذوا بيعة الامويين، وألحّوا في ذلك الامر أيّما الحاح، مبّينين للإمام عليه السلام أن السبل ميسرة والظروف مهيأة لقدومه، حيث كتب له وجهاؤهم من جملة ما كتبوه: «**أمّا بعد: فقد اخضر الجناب وأينعت الثمار، فاذا شئت فأقبل على جند لك مجنّدة**».

ولما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين عليه السلام أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ــ رضوان الله عليه ــ الى الكوفة ممثلاً عنه لأخذ البيعة له منهم، وللتحقّق من جدية هذا الأمر، ثمّ كتب اليهم: «**أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم انّه ليس علينا امام فاقبل لعلّ الله أن يجمعنا بك على الحق والهدى، وإنّي باعث اليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ: انّه قد اجتمع رأي ملائكم وذوو الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت عليّ به رسلكم، وقرأته في كتبكم، فإنّي أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه على ذات الله**»[2].

---

(١) الخوارزمي: مقتل الحسين ١ / ١٨٤ ــ ١٨٥.

(٢) المفيد: الارشاد ٢٠٤.

ثم خرج الإمام من مكة متوجّها الى الكوفة يوم التروية او يوما قبله مع اهل بيته وجماعة من أصحابه وشيعته، وكان كتاب من مسلم بن عقيل قد وصل اليه يخبره ببيعة ثمانية عشر ألفاً من اهل الكوفة، وذلك قبل أن تنقلب الامور على مجاريها بشكل لا تصدّقه العقول، حيث استطاع عبيد الله بن زياد بخبثه ودهائه، وافراطه في القتل، أن يثبط همم أهل الكوفة، وأن تنكث بيعة الإمام الحسين عليه السلام ، ويقتل سفيره بشكل وحشي بشع.

ولما أخذ الإمام عليه السلام يقترب من الكوفة استقبله الحر بن يزيد الرياحي بألف فارس مبعوثا من الوالي عبيد الله بن زياد لاستقدامه واكراهه على اعطاء البيعة ليزيد وارساله قهرا الى الكوفة، فعند ذلك قام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحر بقوله: «**أيها الناس إن رسول الله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلاً حرم الله ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباده بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وأنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحّلوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر**»[1].

الدافع الواقعي للهجرة إلى العراق:

رغم ان الدافع الظاهري لهجرته عليه السلام الى العراق كانت رسائل أهل الكوفة ورسلهم حتى أن الإمام احتجّ بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي وعمر بن سعد عندما سألاه عن سرّ مجيئه الى العراق فقال: «**كتب إلي أهل مصركم هذا أن أقدم**»[2].

---

(١) الطبري: التاريخ ٤ / ٣٠٤ حوادث سنة ٦١ هجري، وأمّا ما جرى على الإمام وأهل بيته حتى نزل أرض كربلاء فراجع المقاتل.

(٢) المفيد: الارشاد ٢٢٤ _ ٢٢٨.

إلا ان السر الحقيقي لهجرته عليه السلام رغم ادراكه الواضح لما سيترتب عليها من نتائج خطرة ستؤدي بحياته الشريفة، وهو ما وطّن نفسه عليه السلام عليه، يمكن ادراكه من خلال الاستقراء الشامل لمسيرة حياته وكيفية تعامله مع مجريات الاحداث. ان الامر الذي لا مناص من الذهاب اليه هو ادراك الإمام عليه السلام ما يشكله الاذعان والتسليم لتولّي يزيد بن معاوية خلافة المسلمين رغم ما عُرف عنه من تهتك ومجون وانحراف واضح عن ابسط المعايير الإسلامية، وفي هذا مؤشّر خطر عن عظم الانحراف الذي أصاب مفهوم الخلافة الإسلامية، وابتعادها الرهيب عن مضمونها الشرعي.

ومن هنا فكان لابد من وقفة شجاعة تعيد للأمّة جانبا من رشدها المضاع وتفكيرها المسلوب. إن الإمام الحسين عليه السلام قد أعلنها صراحة بقوله لما طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد، حيث قال: « **فعلى الإسلام السلام اذا بليت الامّة براع مثل يزيد**» كما عرفت سابقا.

نعم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**صنفان من أُمّتي اذا صلحا صلحت أمّتي واذا فسدا فسدت أُمتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأمراء**»[1]، فاذا كان صلاح الامّة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها، فقيادة مثل يزيد لا تزيد الامر إلاّ عيثاً وفساداً.

إنّ القيادة الإسلامية بين التنصيص والشورى، ولم يملك يزيد السلطة لا بتنصيص من الله سبحانه ولا بشورى من الامّة، وهذا ما ادركه المسلمون آنذاك حيث كتبوا الى الحسين عليه السلام رسالة جاء فيها: أمّا بعد فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الامّة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها[2].

---

(١) القمي: سفينة البحار ٢ / ٣٠ مادة أمر.

(٢) الجزري: الكامل ٢ / ٢٦٦ _ ٢٦٧، والارشاد ٢٠٣.

ولم يكن الولد (يزيد) فريدا في غصب حق الأمّة بل سبقه والده معاوية إلى ذلك كما هو معروف وليس بخاف على أحد، وإلى تلك الحقيقة الممجوجة يشير الإمام علي عليه السلام في كتاب له الى معاوية، حيث يقول:

«**فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الامور، فقد سلكت مدارج اسلافك بادعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والاكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختزن دونك فراراً من الحق وجحودا لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك، وملئ به صدرك، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال المبين**»[1]

هذا ونظائره المذكورة في التاريخ ما دفع الحسين الى الثورة، وتقديم نفسه وأهل بيته قرابين طاهرة من أجل نصرة هذا الدين العظيم، مع علمه بأنّه وفقاً لما تحت يديه من الامكانات المادية لن يستطع ان يواجه دولة كبيرةٍ تمتلك القدرات المادية الضخمة ما يمكنها من القضاء على أي ثورة فتية، نعم إنّ الإمام الحسين عليه السلام كان يدرك قطعاً هذه الحقيقة، إلاّ أنّه أراد أن يسقي بدمائه الطاهرة المقدسة شجرة الإسلام الوارفة التي يريد الأمويون اقتلاعها من جذورها.

كما أن الإمام عليه السلام أراد أن يكسر حاجز الخوف الذي أصاب الامّة فجعلها حائرة مترددة أمام طغيان الجبابرة وحكّام الجور، وان تصبح ثورته مدرسة تتعلّم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من اجل المبادئ والعقائد، وكان كل ذلك بعد استشهاد الإمام عليه السلام ، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

كان المعروف منذ ولادة الإمام الحسين عليه السلام أنّه سيستشهد في العراق في أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلك في عصر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه، لذا كان الناس يترقّبون حدوث تلك الفاجعة، كما أن هناك الكثير من القرائن التي تدل بوضوح على حتمية استشهاده عليه السلام ، ومن ذلك:

١ ــ روى غير واحد من المحدّثين عن أنس بن الحارث الذي استشهد في كربلاء أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن ابني هذا يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره**» فخرج انس بن الحارث فقتل بها مع الحسين عليه السلام [2].

---

(١) نهج البلاغة، قسم الكتب، برقم ٦٥.

(٢) الاصابة ١ / ٨١ برقم ٢٦٦.

٢ ــ إن أهل الخبرة والسياسة في عصر الإمام كانوا متّفقين على أن الخروج إلى العراق يشكّل خطرا كبيرا على حياة الإمام عليه السلام وأهل بيته ولاجل ذلك أخلصوا له النصيحة، وأصرّوا عليه عدم الخروج، ويتمثّل ذلك في كلام اخيه محمّد ابن الحنفية، وابن عمّه ابن عباس، ونساء بني عبد المطلب، ومع ذلك اعتذر لهم الإمام وأفصح عن عزمه على الخروج[١].

٣ ــ لما عزم الإمام المسير إلى العراق خطب وقال: « **الحمد لله وما شاء الله ولا قوّة إلا بالله وصلّى الله على رسوله، خُطّ الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى اسلافي، اشتياق يعقوب الى يوسف، وخُيّر لي مصرع أنا ألاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات، بين النواويس وكربلاء فيملأن منّي أكراشا جُوّفا وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تَقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فانّي راحل مصبحا إن شاء الله تعالى**»[٢].

٤ ــ لما بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين عليه السلام دخل عليه فلامه في المسير، ولما رآه مصرّاً عليه قبّل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل[٣].

٥ ــ لمّا خرج الحسين عليه السلام من مكة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلى أين يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أعجلك عن الموسم؟ قال: « لو لم أعجل لاخذتُ، ثمّ قال له: أخبرني عن الناس خلفك: فقال: الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيافهم عليك[٤].

---

(١) لاحظ المحاورات التي جرت بين الإمام وهؤلاء في الارشاد ٢٠١ ــ ٢٠٢ طبع النجف ومقاتل الطالبيين ١٠٩، اللهوف ٢٠ طبعة بغداد.

(٢) اللهوف ٤١ طبعة بغداد.

(٣) تذكرة الخواص ٢١٧ ــ ٢١٨.

(٤) الارشاد ٢١٨.

٦ ـ لما أتى الى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، قال لأصحابه: « لقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ليس معه ذمام» فتفرّق الناس عنه، واخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممّن انضمّوا اليه. ومع ذلك فقد واصل عليه السلام مسيره نحو الكوفة، ولما مرّ ببطن العقبة لقيه شيخ من بني عكرمة يقال عمر بن لوذان، فسأل الإمام: أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام «الكوفة» فقال الشيخ: أنشدك لما انصرفت، فوالله ما تقدِمُ إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف، فقال له الحسين: «**ليس يخفى علي الرأي، وأنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره**»[1].

وفي نفس النص دلالة على أنّ الإمام كان يدرك ما كان يتخوفّه غيره، وأنّ مصيره لو سار الى الكوفة هو القتل، ومع ذلك أكمل السير طلباً للشهادة من أجل نصرة الدين ورد كيد أعدائه، وحتى لا تبقى لاحد حجة يتذرّع بها لتبرير تخاذله وضعفه.

نعم لقد كان الحسين عليه السلام على بيّنة من أمره وما سيؤول اليه سفره من مصير محتوم، فلا شيء يقف امام ارادته من اجل اعلاء كلمة الدين وتثبيت دعائمه التي اراد الأمويون تقويضها، أنظر اليه وهو يخاطب الحر بن يزيد الرياحي الذي يحذّه من مغبّة اصراره على موقفه حيث يقول له: «أفبالموت تخوّفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول كما قال أخو الاوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول الله فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقّا وجاهد مسلما

وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبورا وخالف مجرما

فإن عشت لم أندم وإن مِتُّ لم أُلم ... كفى بك ذلا أن تعيش وترغما»[2]

---

(١) المصدر نفسه: ٢٢٣.

(٢) المفيد: الارشاد ٢٢٥، والطبري في تاريخه ٥ / ٢٠٤.

ثم إنّه كان لشهادة الحسين عليه السلام أثر كبير في ايقاظ شعور الأمّة وتشجيعها على الثورة ضد الحكومة الأموية التي أصبحت رمزاً للفساد والانحراف عن الدين، ولاجل ذلك توالت الثورات بعد شهادته من قبل المسلمين في العراق والحجاز، وهذه الانتفاضات وإن لم تحقّق هدفها في وقتها ولكن كان لها الدور الأساسي في سقوط الحكومة الأموية بعد زمان.

ولقد أجاد من قال: لولا نهضة الحسين عليه السلام وأصحابه _ رضي الله عنهم _ يوم الطف لما قام للإسلام عمود، ولا اخضرّ له عود، ولاماته معاوية وأتباعه ولدفنوه في أوّل عهده في لحده. فالمسلمون جميعا بل الإسلام من ساعة قيامه الى قيام الساعة رهين شكر للحسين عليه السلام وأصحابه _ رضي الله عنهم _[1].

بلى، أنّى للإمام الحسين عليه السلام الاذعان لحقيقة تسلّم يزيد مقاليد خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يزيد المنحرف الفاسد، عدوّ الله وعدوّ رسوله، الذي لم يستطع اخفاء دفائنه عندما أحضر رأس سيد الشهداء بين يديه حيث أنشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلنا قتل بدر فاعتدل

لأهلّوا واستهلّوا فرحا ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل

لست من خندف إن لم أنتقم ... من بني أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحي نزل[2]

---

(١) جنّة المأوى ٢٠٨ للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

(٢) البيتان الأوّلان لابن الزبعرى، والثلاثة الأخيرة ليزيد، لاحظ تذكرة الخواص ٢٣٥.

وأمّا بيان خروجه من مكة متوجّها الى العراق والحوادث التي تعرّضت له في مسيره الى أن نزل بأرض كربلاء، والتي استشهد فيها مع أولاده وأصحابه البالغ عددهم ٧٢ شخصاً، ظمآناً وعطشاناً، فهو خارج عن موضوع البحث. وقد أُلّف فيه مئات الكتب وعشرات الموسوعات. فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد ويوم يبعث حيّا.

الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام زين العابدين

هو رابع أئمة أهل البيت الطاهر، المشهور بزين العابدين أو سيّدهم، والسجّاد، وذو الثفنات.

ولد في المدينة سنة ٣٨ أو ٣٧ هجري، وتوفّي بها عام ٩٥ أو ٩٤ هجري، يوم السبت الثاني عشر من محرّم.

قال ابن خلّكان: هو أحد الأئمة الإثني عشر ومن سادات التابعين. قال الزهري: ما رأيت قرشيّا أفضل منه. وفضائله ومناقبه أكثر من أن تحصي وتذكر، ولما توفّي دفن في البقيع في جنب عمّه الحسن في القبّة التي فيها قبر العباس _ رضي الله عنه _[1].

ولقد تولى الإمامة بعد استشهاد أبيه الحسين _ عليه السلام _ في كربلاء، وللاطلاع على النصوص الواردة في إمامته ينبغي الرجوع إلى كتب الحديث والعقائد المتكفّلة بهذا الجانب المهم، وأخص منها بالذكر كتاب «الكافي» للكليني، و«الإرشاد» للشيخ المفيد، و«كفاية الأثر» للخزار، و«اثبات الهداة» للحر العاملي.

ومن أراد الأطلاع على مناقبه وكراماته وفضائله في مجالات شتّى كالعلم، والحلم، والجرأة والاقدام، وثبات الجنان، وشدة الكرم والسخاء، والورع، والزهد، والتقوى، وكثرة التهجّد والتنفّل، والفصاحة والبلاغة، وشدة هيبته بين الناس ومحبّتهم له، وتربيته لجيل عظيم من الصحابة والعلماء أوقفوا حياتهم في خدمة الإسلام، وغير ذلك ممّا لا يسعنا التعرّض لها هنا، فعليه طلب ذلك في الموسوعات المتعدّدة التي تعرّضت لذلك بالشرح والتفصيل.

جوانب من سيرته عليه السلام

إلا أنّا نكتفي هنا بجانب من سيرته عليه السلام تتعلّق بجملة محدّدة من الأمور:

---

(١) وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٧ _ ٢٦٩.

١ _ هيبته ومنزلته العظيمة:

لقد كان عليه السلام مهاباً جليلاً بين الناس بشكل كبير، حتى أنّ هذه المنزلة العظيمة جعلت الامراء والحكّام يحسدونه عليها، والتاريخ يذكر لنا على ذلك شواهد كثيرة ومتعدّدة، ومن ذلك:

لما حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك، وجاء علي بن الحسين عليهما السلام فتوقّف له الناس، وتنحّوا حتى استلم، فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه (مع أنّه كان يعرفه أنّه علي بن الحسين عليه السلام) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنّي أعرفه، هذا علي بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته التي منها هذه الأبيات:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته ... فما يكلّم إلا حين يبتسم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد خُتموا

وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

إلى آخر القصيدة التي حفظتها الأمّة وشطرها جماعة من الشعراء. وقد ثقل ذلك على هشام فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكة والمدينة، فقال معترضاً على عمل هشام:

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيّد ... وعيناً له حولاء باد عيوبها

فأخرجه من الحبس فوجّه إليه علي بن الحسين عليهما السلام عشرة آلاف درهم وقال: «**اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به**» فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلاّ لله، فقال له علي عليه السلام «**قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه**» وأقسم عليه فقبلها.

٢ _ زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من الله فغني عن البيان.فقد روي عنه عليه السلام أنّه اذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقال: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال: «**أتدرون بين يدي من اريد أن أقف**».

ومن كلماته عليه السلام «**أنّ قوماً عبدوا الله رياضة فتلك عبادة العبيد، وأن قوماً عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وأن قوما عبدوه شكرا فتلك عبادة الأحرار**».

وكان إذا أتاه سائل يقول له : «**مرحبا بمن يحمل زادي الى الآخرة**».

وكان عليه السلام كثير الصدقات حريصاً عليها، وكان يوصل صدقاته ليلاً دون أن يعلم به احد، وقد روي انه _ عليه اللام _ كان يعول مائة عائلة من أهالي المدينة لا يدرون من يأتيهم بالصدقات، ولما توفّي عليه السلام أدركوا ذلك.

وفي رواية: أنّه عليه السلام كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: «**صدقة السر تطفئ غضب الرب**».

وفي رواية كان اهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين عليه السلام [1].

وقال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت رجلا اورع من فلان _ وسمّى رجلا _ فقال له سعيد: أما رأيت علي بن الحسين؟ فقال: لا، فقال: ما رأيت اورع منه.

وقال أبو حازم: ما رأيت هاشميا أفضل من علي بن الحسين.

وقال طاووس: رأيت علي بن الحسين عليهما السلام ساجدا في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيّب لأسمعن ما يقول، فأصغيت اليه فسمعته يقول: «**عُبيدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك**» قال طاووس: فوالله ما دعوت بهنّ في كرب إلا كشف عنّي.

---

(١) تذكرة الخواص ٢٩٤.

وكان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة، فاذا أصبح سقط مغشياً عليه، وكانت الريح تميله كالسنبلة، وكان يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه فثارت اليه العبيد والموالي، فقال لهم علي عليه السلام: «مهلا كفّوا» ثم أقبل على ذلك الرجل فقال له: «**ما ستر عنك من امرنا اكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟**» فاستحى الرجل فألقى اليه عليه السلام خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسل[1].

الثروة العلمية للإمام:

أمّا الثروة العلمية والعرفانية، فهي أدعيته التي رواها المحدّثون بأسانيدهم المتضافرة، والتي جمعت بما أسمي بالصحيفة السجّادية المنتشرة في العالم، فهي زبور آل محمد، ومن الخسارة الفادحة ان اخواننا اهل السنّة _ إلا النادر القليل منهم _ غير واقفين على هذا الأثر القيّم الخالد.

نعم، انّ فصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، وعلوّ مضامينها، وما فيها من انواع التذلّل لله تعالى والثناء عليه، والاساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل اليه، أقوى شاهد على صحّة نسبتها اليه، وانّ هذا الدر من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً الى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب، وتعدّد أسانيدها المتّصلة، الى منشئها، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعدّدة المتّصلة، الى زين العابدين[2].

وقد أرسل احد الاعلام نسخة من الصحيفة مع رسالة الى العلاّمة الشيخ الطنطاوي (المتوفى عام ١٣٥٨ هجري) صاحب التفسير المعروف، فكتب في جواب رسالته: «**ومن الشقاء إنّا الى الآن لم نقف على هذا الأثر القيّم الخالد في مواريث النبوّة وأهل البيت، وإنّي كلّما تأمّلتها رأيتها فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق**»[3].

---

(١) كشف الغمّة ٢ / ٢٩٢ _ ٢٩٣.

(٢) في رحاب أئمّة أهل البيت ٣ / ٤١٤.

(٣) مقدمة الصحيفة بقلم العلامّة المرعشي قدس سره ٢٨.

وكان المعروف بين الشيعة هو الصحيفة الاولى التي تتضمّن واحدا وستين دعاء في فنون الخير وأنواع السؤال من الله سبحانه، والتي تعلّم الإنسان كيف يلجأ الى ربّه في الشدائد والمهمّات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتذلّل ويتضرّع له، وكيف يحمد ويشكر له. غير أن لفيفا من العلماء استدركوا عليها فجمعوا من شوارد ادعيته صحائف خمسة اخيرتها ما جمعه العلاّمة السيد محسن الامين العاملي رحمه الله.

ولقد قام العلاّمة الحجة السيّد محمد باقر الابطحي _ دام ظله _ بجمع جميع ادعية الإمام الموجودة في هذه الصحف في جامع واحد، وقال في مقدمته:

وحريّ بنا القول إن ادعيته عليه السلام كانت ذات وجهين: وجهاً عبادياً، وآخر اجتماعياً يتّسق مع مسار الحركة الاصلاحية التي قادها الإمام عليه السلام في ذلك الظرف الصعب. فاستطاع بقدرته الفائقة المسدّدة ان يمنح ادعيته _ الى جانب روحها التعبّدية _ محتوىً اجتماعياً متعدّد الجوانب، بما حملته من مفاهيم خصبة، وأفكار نابضة بالحياة، فهو عليه السلام صاحب مدرسة الهية، تارة يعلّم المؤمن كيف يمجّد الله ويقدّسه، وكيف يلج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع اليه، واخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه اسلوب البرّ بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد والولد، والأهل، والاصدقاء، والجيران، ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي، كل ذلك باسلوب تعليمي رائع وبليغ.

وصفوة القول: إنّها كانت اسلوباً مبتكراً في ايصال الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية الأصيلة الى القلوب الظمأى، والافئدة التي تهوى اليها لترتزق من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحق عملية تربوية نموذجية من الطراز الاوّل، أسّس بناءها الإمام السجاد عليه السلام مستلهما جوانبها من سير الأنبياء وسنن المرسلين[1].

ومن أدعيته عليه السلام في هذه الصحيفة دعاؤه في يوم عرفة، ومنه:

«اللّهمَّ هذا يوم عرفةَ، يومٌ شرَّفتهُ وكرَّمتهُ وعظّمتهُ، نَشَرتَ فيهِ رحمتَكَ، وَمَننتَ فيهِ بعفوكَ، وأجزلتَ فيهِ عطيتكَ، وتفضَّلتَ بهِ على عبادِكَ.

اللهّمَّ وأنا عبدكَ الذي أنعمتَ عليهِ قَبلَ خَلقِكَ لهُ، وبعدَ خَلقِكَ إيّاهُ، فَجَعَلتَهُ مّمِن هَديتَهُ لدينِكَ، وَوفّقتَهُ لحقّكَ، وعصمتَهُ بِحَبلِكَ، وأدخَلتَهُ في حِزبِكَ، وأرشَدتَهُ لموالاةِ أوليائِكَ ومعاداةِ أعدائِك».

---

(١) الصحيفة السجادية الجامعة ١٣.

رسالة الحقوق:

إنّ للإمام علي بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، أوردها الصدوق في خصاله[١] بسند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة في تحف العقول[٢] مرسلة، وبين النقلين اختلاف يسير.

وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، يذكر الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الإنسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدي... التي تبلغ خمسين حقّاً، آخرها حق الذمّة.

كما روى الحفّاظ وتلاميذ مدرسته احاديث وحكماً مختلفة جليلة حوتها بطون الكتب المختلفة، جمع الكثير منها العلاّمة المجلسي في موسوعته الموسومة ببحار الانوار، من مختلف المصادر، فراجع.

الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين عليه السلام الباقر

هو خامس أئمّة أهل البيت الطاهر، المعروف بالباقر ، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له. قال ابن منظور في لسان العرب: لقّب به لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فيه[٣].

وقال ابن حجر: سمّي بذلك لانّه من بقر الارض أي شقّها، وإثارة مخبآتها، ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الاحكام، والحكم واللطائف ما لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة او فاسد الطوية والسريرة، ومن ثمّ قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه[٤].

وقال ابن كثير: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمّي بالباقر لبقره العلوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكراً خاشعاً صابراً، وكان من سلالة النبوّة، رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات[٥].

---

(١) الخصال ٥٦٤ _ ٥٧٠ في أبواب الخمسين.

(٢) تحف العقول ١٨٣ _ ١٩٥.

(٣) لسان العرب ٤ / ٧٤.

(٤) الصواعق المحرقة ٢٠١.

(٥) البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩.

وقال ابن خلّكان: ابو جعفر محمّد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر، أحد الأئمة الإثني عشر في اعتقاد الإمامية، وهو والد جعفر الصادق. كان الباقر عالما سيّدا كبيراً، وإنّما قيل له الباقر لانّه تَبقَّر في العلم أي توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يـــا بـــاقر العلـــم لاهـــل التُقـــى وخـــير مـــن لـــبى علـــى الأجبـــل[1]

ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧ هجري وقيل ٥٦ هجري، وتوفّي في السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤ هجري، وعمره الشريف ٥٧ سنة. عاش مع جدّه الحسين عليه السلام ٤ سنين، ومع ابيه عليه السلام بعد جدّه عليه السلام تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدة إمامته عليه السلام ١٨ سنة[2].

وأمّا النصوص الدالة على إمامته من أبيه وأجداده والتي ذكرها المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الاعلام فهي مستفيضة نقلها الكليني _ رضي الله عنه _ وغيره.

قال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة، كان عالماً عابداً ثقة، وروى عنه الائمّة أبو حنيفة وغيره.

قال أبو يوسف: قلت لابي حنيفة: لقيت محمّد بن علي الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوما فقلت له : أراد الله المعاصي؟ فقال: «أفيعصى قهرا»؟ قال ابو حنيفة: فما رأيت جوابا أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند احد أصغر علماً منهم عند ابي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعني الحكم بن عيينة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه.

وذكر المدائني: عن جابر بن عبد الله: أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن علي الى الكتاب وهو صغير فقال له: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالسا عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: «**يا جابر يولد مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد، اسمه محمّد ، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام**».

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٤.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى ٢٦٤ _ ٢٦٥.

وذكر ابن الصبّاغ المالكي بعد نقل القصّة: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجابر: «**وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك في الدنيا قليل**» فلم يعش جابر بعد ذلك إلا ثلاثة أيّام. ثم قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام، وفضيلة شهد له بها الخاص والعام[١].

وقال المفيد: لم يظهر عن احد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام في علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من أبي جعفر الباقر عليه السلام [٢].

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وسارت بذكر كلامه الاخبار وأنشدت في مدائحه الأشعار...[٣].

قال ابن حجر: صفا قلبه ، وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت اوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة[٤].

وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنه ولا حرج، وقد جمعها العلاّمة الطبرسي في كتاب الاحتجاج [٥].

قال الشيخ المفيد في الارشاد: وجاءت الاخبار: ان نافع بن الأزرق [٦] جاء الى محمّد بن علي فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام.

---

(١) ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣٠٢ _ ٣٠٣، الفصول المهمّة ٢١٥ _ ٢١٦.

(٢) الارشاد ٢٦٢.

(٣) الفصول المهمّة ٢١٠ نقله عن ارشاد الشيخ المفيد ٢٦١، فلاحظ.

(٤) الصواعق المحرقة ٣٠١.

(٥) الاحتجاج ٢ / ٥٤ _ ٦٩ طبع النجف.

(٦) الارشاد ٢٦٥، ولعلّ المناظر هو عبد الله بن نافع بن الازرق، لانّ نافعاً قتل عام ٦٥ من الهجرة وللإمام عندئذ من العمر دون العشرة، وقد نقل ابن شهر آشوب بعض مناظرات الإمام مع عبد الله بن نافع فلاحظ ٤ / ٢٠١.

فقال له أبو حعفر في عرض كلامه: «قل لهذه المارقة، بم استحللتم فراق امير المؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة الى الله بنصرته؟ فسيقولون لك: إنّه حكَّم في دين الله، فقل لهم: قد حكّم الله تعالى في شريعة نبيّه ﷺ رجلين من خلقه فقال: (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يُريدا إصلاحا يوفّق الله بينهما)، وحكَّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم فيهم بما امضاه الله، أوما علمتم أنّ امير المؤمنين إنّما امر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّياه، واشترط ردّ ما خالف القرآن في أحكام الرجال، وقال حين قالوا له: حكّمت على نفسك من حكم عليك؟ فقال: ما حكّمت مخلوقا وإنما حكّمت كتاب الله. فأين تجد المارقة تضليل من امر بالحكم بالقرآن، واشترط ردّ ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان»؟ فقال نافع بن الازرق: هذا والله كلام ما مرّ بسمعي قط ولا خطر ميّ ببال، وهو الحقّ إن شاء الله.

ثم إن الشيعة الإمامية اخذت كثيرا من الاحكام الشرعية عنه وعن ولده البار جعفر الصادق وحسب الترتيب المتداول في الكتب الفقهية، حيث روي عنه عليه السلام الكثير من الروايات الفقهية التي تناولت مختلف جوانب الحياة، وللاطلاع على ذلك تراجع كتب الفقه وموسوعاته المختلفة.

وأمّا ما روي عنه في الحكَم والمواعظ، فقد نقلها ابو نعيم الاصفهاني في حلية الاولياء، والحسن بن شعبة الحرّني في تحفه[1].

وقد توفي الإمام محمّد الباقر عليه السلام عام ١١٤ هجري، ودفن في جنب قبر أبيه في البقيع، ومن اراد البحث عن فصول حياته في شتى المجالات فليراجع الموسوعات التي تحفل بها المكتبات العامّة والخاصّة.

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨٠ _ ٢٣٥ وفي بعض ما نقل عنه تأمّل ونظر. والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول ٢٨٤ _ ٣٠٠.

الإمام السادس: جعفر بن محمّد عليه السلام الصادق

هو الإمام السادس من أئمّة أهل البيت الطاهر _ رضي الله عنهم اجمعين _ ولقّب بالصادق لصدقه في مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر. ولد عام ٨٠ هجري، وتوفّي عام ١٤٨ هجري، ودفن في البقيع جنب قبر أبيه محمّد الباقر وجدّه علي زين العابدين وعم جدّه الحسن بن علي _ رضي الله عنهم اجمعين _ فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه[١].

قال محمّد بن طلحة: هو من عظماء أهل البيت وساداتهم ، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة، وزهادة بيّنة، وتلاوة كثيرة، يتبع معاني القرآن الكريم، ويستخرج من بحره جواهره، ويستنتج عجائبه، ويقسّم اوقاته على انواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتداء بهداه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد انّه من سلالة النبوّة وطهارة أفعاله تصدع انه من ذرّية الرسالة: نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من اعيان الائمّة واعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الانصاري، وابن جريج، ومالك بن انس، والثوري، وابن عيينة، وأبي حنيفة، وشعبة، وأبو أيّوب السجستاني وغيرهم، وعدوا اخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها[٢].

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما اقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا ابا حنيفة ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيّئ لي من مسائلك الشداد، فهيأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إلي أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته.

---

(١) وفيات الأعيان ١ / ٣٢٧ رقم الترجمة ٣١.

(٢) كشف الغمة ٢ / ٣٦٨ وفيه أيّوب السختياني والصحيح ما ذكرناه.

فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لابي جعفر، فسلمت عليه، فأومأ إليّ فجلست، ثمّ التفت اليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال: نعم اعرفه، ثمّ التفت اليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على ابي عبد الله من مسائلك فجعلت القي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعنا وربما تابعهم، وربّما خالفنا جميعا حتى اتيت على الاربعين مسألة فما اخل منها بشيء. ثم قال أبو حنيفة: أليس أن أعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس[1].

عن مالك بن أنس: جعفر بن محمد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه إلا على احدى ثلاث خصال: امّا مصلّ وأما صائم وأمّا يقرأ القرآن، وما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا[2].

وعن أبي بحر الجاحظ (مع عدائه لاهل البيت): جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه، ويقال: إنّ أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب[3].

وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويُحار في انواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الاحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الاحاطة بحكمها، تضاف اليه وتروى عنه [4].

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٧ ص ٢١٧ _ ٢١٨. اسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الاربعة ج ٤ ص ٣٣٥ نقلا عن مناقب ابي حنيفة للمكي ج ١ ص ١٧٣، وجامع مسانيد ابي حنيفة ج ١ ص ٢٥٢، وتذكرة الحفّاظ للذهبي ج ١ ص ١٥٧.

(٢) أسد حيدر: الإمام الصادق ج ١ ص ٥٣ نقلاً عن التهذيب، ج ٢ ص ١٠٤ والمجالس السنيّة ج ٥.

(٣) أسد حيدر: الإمام الصادق ج ١ ص ٥٥ نقلاً عن رسائل الجاحظ، ص ١٠٦.

(٤) كشف الغمة ٢ / ٣٦٨.

وقال ابن الصباغ المالكي: كان جعفر الصادق عليه السلام من بين اخوته، خليفة ابيه، ووصيّه والقائم بالإمامة من بعده، برز على جماعة بالفضل، وكان أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن احد من اهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث.

إنّك اذا تتبّعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلّها تعرب عن اتّفاق الامّة على امامته في العلم والقيادة الروحية، وإن اختلفوا في كونه إماماً منصوصاً من قبل الله عزّ وجلّ، فذهبت الشيعة الى الثاني نظراً الى النصوص المتواترة المذكورة في مظانّها[1].

ولقد امتد عصر الإمام الصادق عليه السلام من آخر خلافة عبد الملك بن مروان الى وسط خلافة المنصور الدوانيقي، أي من سنة ٨٣ هجري الى سنة ١٤٨ هجري فقد ادرك طرفاً كبيراً من العصر الاموي، وعاصر كثيرا من ملوكهم وشاهد من حكمهم اعنف اشكاله، وقضى حياته الاولى حتى الحادية عشر من عمره مع جده زين العابدين، وحتى الثانية والثلاثين مع ابيه الباقر ونشأ في ظلّهما يتغذّى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربّى تربيته الدينية، وتخرّج من تلك المدرسة الجامعة فاختصّ بعد وفاة ابيه بالزعامة سنة ١١٤ هجري، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الاقطار الإسلامية.

«وقد اتّسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكرية، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة الى المجتمع الإسلامي واهمها عنده هي حركة الغلاة الهدامة، الذين تطلّعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء الى بث روح التفرقة بين المسلمين، وترعرعت بنات افكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام، فقد اغتنموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي، فكانو يبثّون الاحاديث الكاذبة ويسندونها الى حملة العلم من آل محمد، ليغرّوا به العامّة، فكان المغيرة بن سعيد يدّعي الاتصال بابي جعفر الباقر ويروي عنه الاحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق عليه السلام كذبه والبراءة منه، وأعطى لاصحابه قاعدة في الاحاديث التي تروى عنه، فقال: **«لا تقبلوا علينا حديثا إلا ما وافق القرآن والسنّة، او تجدون معه شاهداً من احاديثنا المتقدمة».**

---

(١) لاحظ الكافي ١ / ٣٠٦ _ ٣٠٧.

ثمّ إنّ الإمام قام بهداية الأمّة الى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الامويين ومعارضيهم من العباسيين، ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغلّ الإمام الفرصة فنشر من احاديث جدّه، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان، وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء. ولقد جمع أصحاب الحديث اسماء الرواة عنه من الثقات _ على اختلاف آرائهم ومقالاتهم _ فكانوا أربعة آلاف رجل[1]. وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمة _ عليه وعليهم السلام _.

إن الإمام عليه السلام شرع بالرواية عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون الى تدوين احاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الغفلة التي استمرّت الى عام ١٤٣ هجري[2] حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسرّبت الى السنّة، العديد من الروايات الاسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين والمجوس بالاضافة الى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الاموي.

ومن هنا فقد وجد الإمام عليه السلام أن أمر السنّة النبويّة قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد عليه السلام للتصدّي لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام والتي تسرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم.

إن تلك الفترة شكّلت تحدّيا خطيرا لوجود السنّة النبويّة، وخلطاً فاضحاً في كثير من المعتقدات، لذا فان الامام عليه السلام كان بحق سفينة النجاة من هذا المعترك العسر.

إن علوم أهل البيت عليهم السلام متوارثة عن جدّهم المصطفى محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، الذي اخذها عن الله تعالى بواسطة الامين جبرئيل عليه السلام ، فلا غرو ان تجد الامّة ضالتّها فيهم عليهم السلام ، وتجد مرفأ الأمان في هذه اللجج العظيمة، ففي ذلك الوقت حيث اخذ كل يحدث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة، او اسانيد مشوشة، تجد انّ الإمام الصادق عليه السلام يقول: «**حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن ابي طالب، وحديث علي حديث رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم ، **وحديث رسول الله قول الله عز وجل**».

---

(١) الارشاد ٢٧٠ والمناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٢٥٧.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي خلافة المنصور الدوانيقي، فقد حدد تاريخ التدوين بسنة ١٤٣ هجري.

بيد أن ما يثير العجب ان تجد من يعرض عن دوحة النبوّ الى رجال قد كانوا وبالا على الإسلام وأهله وتلك وصمة عار وتقصير لا عذر فيه خصوصا في صحيح البخاري.

فالإمام البخاري مثلاً يروي ويحتج بمثل مروان بن الحكم، وعمران بن حطّان وحريز بن عثمان الرحبي وغيرهم، ويعرض عن الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام.

أمّا الأوّل: فهو الوزغ ابن الوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمّا الثاني: فهو الخارجي المعروف الذي اثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث: فكان ينتقص عليّا وينال منه، ولست ادري لمَ هذا الامر، انه مجرد تساؤل.

إنّ للإمام الصادق وراء ما نشر عنه من الاحاديث في الاحكام التي تتجاوز عشرات الآلاف، مناظرات مع الزنادقة والملحدين في عصره، والمتقشفين من الصوفية، ضبط المحقّقون كثيراً منها، وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الإمام عليه السلام، وأمّا الرواية عنه في الاحكام فقد روى عنه ابان بن تغلب ثلاثين الف حديث.

حتى أن الحسن بن علي الوشاء قال: ادركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول حدّثني جعفر بن محمّد[1].

وأمّا ما اثر عنه من المعارف والعقائد فحدّث عنها ولا حرج، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن اراد فليرجع الى مظانّها[2].

يقول «سيد أمير علي» بعد النقاش حول الفرق المذهبية والفلسفية في عصر الإمام، يقول:

«ولم تتخذ الآراء الدينية اتّجاهاً فلسفياً إلاّ عند الفاطميين، ذلك انّ انتشار العلم في ذلك الحين اطلق روح البحث والاستقصاء، واصبحت المناقشات الفلسفية عامّة في كلّ مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر انّ زعامة تلك الحركة الفكرية انّما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة، والتي اسّسها حفيد علي بن ابي طالب المسمّى بالإمام جعفر والملقب بالصادق، وكان رجلاً بحاثة ومفكراً كبيراً جيد الإلمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أوّل من اسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الإسلام.

---

(١) الرجال للنجاشي ١٣٩ برقم ٧٩.

(٢) الاحتجاج ٢ / ٦٩ _ ١٥٥ والتوحيد للصدوق، وقد بسطها على أبواب مختلفة.

ولم يكن يحضر محاضراته أولئك الذين اسّسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الانحاء القصية، وكان الإمام «الحسن البصري» مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة، وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه، الذين نهلوا من معين علمه الفياض وقد عرف واصل والإمام العلوي بدعوتهما الى حرية ارادة الإنسان...[١]

وأمّا حِكَمه وقصار كلمه، فلاحظ تحف العقول، وأمّا رسائله فكثيرة منها رسالته الى النجاشي والي الاهواز، ومنها: رسالته في شرائع الدين نقلها الصدوق في الخصال، ومنها: ما أملاه في التوحيد للمفضل بن عمر، الى غير ذلك من الرسائل التي رسمها بخطّه[٢].

ونقتطف من وصاياه وكلماته الغزيرة وصية واحدة وهي وصيته لسفيان الثوري:

الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم تروه[٣]، أفضل من روايتك حديثا لم تحصه.

إنّ على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه[٤].

ونختم هذا البحث بما قاله ابو زهرة في هذا المجال:

إنّ للإمام الصادق فضل السبق وله على الاكابر فضل خاص، فقد كان ابو حنيفة يروي عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف اليه دارسا راويا وكان له فضل الاستاذية على أبي حنيفة فحسبه ذلك فضلا.

وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيد اهل المدينة في عصره فضلا وشرفا ودينا وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثير من التابعين وهو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل الى لبابه فهو ممن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف الإضافي بكريم النسب، والقرابة الهاشمية، والعترة المحمدية [٥].

---

(١) مختصر تاريخ العرب، تعريب: عفيف البعلبكي ص ١٩٣.

(٢) ولقد جمع أسماء هذه الرسائل السيّد الامين في اعيانه ١ / ٦٦٨.

(٣) أي لم تروه عن طريق صحيح، والفعل مبني للمجهول.

(٤) اليعقوبي، التاريخ ج ٣ ص ١١٥.

(٥) محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٣٠.

وبما كتبه الأستاذ اسد حيدر إذ قال:

كان يؤمّ مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الاقطار النائية، لرفع الرقابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفة، والبصرة، وواسط، والحجاز الى جعفر بن محمد افلاذ اكبادها، ومن كل قبيلة من بني اسد ومخارق، وطي، وسليم، وغطفان، وغفار، والازد، وخزاعة، وخثعم، ومخزوم، وبني ضبة، ومن قريش، ولا سيّما بني الحارث بن عبد المطلب، وبني الحسن بن الحسن بن علي[1].

ولّما توفي الإمام شيّعه عامّة الناس في المدينة، وحُمل الى البقيع ودفن في جوار ابيه وجدّه عليهم السلام ، وقد أنشد فيه ابو هريرة العجلي قوله:

أقول وقد راحوا به يحملونه ... على كاهل من حامليه وعاتق

أتدرون ماذا تحملون الى الثرى ... ثبيرا ثوى من رأس علياء شاهق

غداة حثا الحاثون فوق ضريحه ... ترابا وأولى كان فوق المفارق

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّا.

الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام الكاظم

سابع أئمّة أهل البيت الطاهر. ولد بالابواء بين مكة والمدينة يوم الاحد في ٧ صفر سنة ١٢٨ هجري، واستشهد بالسم في سجن الرشيد عام ١٨٣ هجري، ودفن في بغداد في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في ايامنا هذه بالكاظمية.

كان عليه السلام انموذج عصره، وفريد دهره، جليل القدر، عظيم المنزلة، مهيب الطلعة، كثير التعبّد، يطوي ليله قائما ونهاره صائماً، عظيم الحلم، شديد التجاوز، حتى سمّي لذلك كاظماً، لاقى من المحن ما تنهد لهولها الجبال فلم تحرّك منه طرفاً، بل كان عليه السلام صابرا محتسبا كحال آبائه وأجداده عليهم السلام.

يعرف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.

---

(١) اسد حيدر: الإمام الصادق ج ١ ص ٣٨ نقلاً عن كتاب جعفر بن محمد، لسيد الأهل.

قال ابن الصباغ: روى عبد الاعلى عن الفيض بن المختار قال: قلت لابي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام : خذ بيدي من النار، من لنا بعدك؟ فدخل موسى الكاظم وهو يومئذ غلام، فقال] أي الصادق عليه السلام [«**هذا صاحبكم فتمسّك به**»[1].

قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد ابيه، والمقدّم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلي الاقوال عليه من ابيه بأنّه ولي عهده والإمام القائم من بعده[2].

وقد تولى منصب الإمامة بعد ابيه الصادق عليه السلام في وقت شهدت فيه الدولة العباسية استقرار اركانها وثبات بنيانها، فتنكّرت للشعار الذي كانت تنادي به من الدعوة لآل محمد _ عليه وعليهم السلام _، فالتفتت الى الوريث الشرعي لشجرة النبوّ مشهرة سيف العداء له ولشيعته تلافيا من تعاظم نفوذه ان يؤتي على اركان دولتهم وينقضها، فشهد الإمام الكاظم عليه السلام طيلة سني حياته صنوف التضييق والمزاحمة، الا أن ذلك لم يمنعه عليه السلام من ان يؤدّي رسالته في حماية الدين وقيادة الامّة، فعرفه المسلمون آية من آيات العلم والشجاعة، ومعيناً لا ينضب من الحلم والكرم والسخاء، ونموذجاً عظيماً لا يدانى في التعبّد والزهد والخوف من الله تعالى.

روايات عن سيرته العطرة

ولقد افرد الباحثون والمحقّقون تآليف كثيرة في سيرة هذا الإمام العظيم، كفتنا عن التعرّض لها هنا في هذه العجالة، إلاّ أنّنا سنحاول في هذه الصفحات التعرّض لجوانب مختارة من تلك السيرة العطرة:

١ _ روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال: حج هارون الرشيد فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم زائراً، وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر، فلمّا انتهى الى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله يا بن عمّي _ افتخارا على من حوله _، فدنا موسي بن جعفر فقال: «**السلام عليك يا أبة**» فتغير وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقّا[3].

---

(١) الفصول المهمّة ٢٣١.

(٢) لاحظ للوقوف على تلك النصوص الكافي ١ / ٣٠٧ _ ٣١١، اثبات الهداة ٣ / ١٥٦ _ ١٧٠ فقد نقل في الاخير ٦٠ نصّا على امامته.

(٣) وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٩.

٢ ـ ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: أن هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا ابا الحسن خذ فدك[١] حتى أردها عليك، فيأبى ، حتى ألحّ عليه فقال: « **لا آخذها إلا بحدودها**» قال: وما حدودها؟ قال: «**يا امير المؤمنين إن حددتها لم تردها**»، قال: بحق جدك إلاّ فعلت، قال: «**أمّا الحد الأوّل فعدن**» فتغير وجه الرشيد وقال: هيه، قال: «**والحد الثاني سمرقند**» فأربد وجهه، قال: « **والحد الثالث افريقيا**» فاسود وجهه وقال: هيه، قال: «**والرابع سيف البحر مما يلي الخزر وارمينية**»، قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوّل في مجلسي، قال موسى عليه السلام : «**قد أعلمتك أنّي إن حددّتها لم تردّها**».

فعند ذلك عزم على قتله[٢].

٣ ـ كان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح ثم يعقّب حتى تطلع الشمس ويخر لله ساجدا، لا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس.

وكان يدعو كثيرا فيقول: «**اللّهمّ إنّي أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب**»، ويكرّر ذلك.

وكان من دعائه عليه السلام «**عظم الذنب من عبدك ، فليحسن العفو من عندك**».

وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع.

وكان أوصل الناس لأهله ورحمه.

وكان يتفقّد فقراء المدينة في الليل فيحمل إليهم الزنبيل فيه العين والورق والأدقة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو[٣].

---

(١) قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، افاءها الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم صلحاً سنة سبع من الهجرة، وأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام ، وكانت ملكاً لها في حياته تستفاد من خيراتها، إلا أن أبا بكر حرمها منها فاغتاظت منه الزهراء وحاججته في ذلك الامر لكنّه أبى، وبقيت فدك هكذا حتى ردّها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الى ابناء فاطمة عليها السلام ثمّ نزعها منهم يزيد بن عبد الملك، فلم تزل في ايدي الامويين حتى ولي العباسيون فدفعها ابو العباس السفاح الى الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب، ثمّ أخذها المنصور، ثمّ أعادها ولده المهدي، ثمّ أخذها موسى الهادي، الى ان ولي المأمون فاعادها إليهم.

(٢) ربيع الأبرار ١ / ٣١٥.

(٣) المفيد: الارشاد ٢٩٦.

٤ ـ في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة: قال ابو حنيفة: حججت في ايام ابي عبد الله الصادق عليه السلام فلمّا أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه، إذ خرج صبي فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: « على رسلك»، ثمّ جلس مستنداً الى الحائط، ثمّ قال: «توقّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت» فأعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له: ما اسمك؟ فقال: « أنا موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب» فقلت له: يا غلام ممّن المعصية؟ فقال: «**إن السيّئات لا تخلو من احدى ثلاث: إمّا أن تكون من الله وليست من العبد فلا ينبغي للربّ أن يعذّب العبد على مالا يرتكب، وإمّا أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد ـ وهي منه ـ فإن عفا فبكرمه وجوده وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته**».

قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله واستغنيت بما سمعت.

وروى ابن شهر آشوب في المناقب نحوه إلا أنّه قال: «يتوارى خلف الجدار ويتوقّى أعين الجار»، وقال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل في عيني، وعظم في قلبي. وقال في آخر الحديث: فقلت: ذرّية بعضها من بعض[1].

٥ ـ روى أبو الفرج الاصفهاني: حدثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى بن جعفر إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير. وكانت صراره ما بين الثلاثمائة وإلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلا.

وقال: إن رجلا من ال عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن أبي طالب إذا رأى موسي بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: «لا»، ثمّ مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا.

---

(١) تحف العقول ٣٠٣، المناقب لابن شهر آشوب ٤ / ٣١٤.

فلم يصغ إليه وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: «كم غرمت على زرعك هذا»؟ قال: مائة درهم، قال: «كم ترجو أن تربح»؟ قال: لا أدري، قال: «إنّما سألتك كم ترجو»، قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبه له، فقام فقبّل رأسه، فلمّا دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلّم عليه وجعل يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكان بعد ذلك كلّما دخل موسى خرج وسلّم عليه ويقوم له، فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله: **«أيّما كان خيرا ما أردتم أو ما أردت»**[1].

٦ ـ حكي أن الرشيد سأله يوما: كيف قلتم نحن ذرّية رسول الله ﷺ وأنتم بنو علي وإنّما ينسب الرجل الى جدّه لأبيه دون جدّه لامّه؟ فقال الكاظم عليه السلام : «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسم الله الرَّحمن الرَّحيم:** (ومِن ذِرِّيَّتِه داوٍ ُ وَسلَيمان وَيُّوب ويُوسُف ومُوسى وهرون وَكَذلك نجَزِي المحسنِين * وزَكَريّا وَيَحيى وَعِيسى وإلياس...) **وليس لعيسى أب إنّما أُلحق بذريّة الأنبياء من قبل أُمّه، وكذلك أُلحقنا بذريّة النبي من قبل أُمّنا فاطمة الزهراء، وزيادة أُخرى يا امير المؤمنين: قال الله عز وجل:** (فَمَن حاجَّك فِيه مِن بَعد ما جاءٍ َ مِن العِلم فقُل تَعالَوا نَدع أبناءَكُم ونِساءَنا ونِساءَكُم وأنفُسنَا وأنفُسَكُم ثُمَّ نَبتَهِل...) **ولم يدع** ﷺ **عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء»**[2].

٧ ـ أمّا علمه والحديث عنه فقد روى عنه العلماء في فنون العلم ما ملأ الكتب، وكان يعرف بين الرواة بالعلم. وقد روى الناس عنه فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله[3].

---

(١) مقاتل الطالبيين ٤٩٩ ـ ٥٠٠، تاريخ بغداد ٢٨.

(٢) الفصول المهمّة ٢٣٨، والآيتان من سورتي الأنعام ٨٤، وآل عمران ٦١.

(٣) المفيد: الارشاد ٢٩٨، ولاحظ جوانب من حكمه ووصاياه في الكافي ١ / ١٣ ـ ٢٠، وتحف العقول ٢٨٣.

وقد اتفقت كلمة المؤرّخين على أن هارون الرشيد قام باعتقال الإمام الكاظم عليه السلام وإيداعه السجن لسنين طويلة مع تأكيده على سجّانيه بالتشديد والتضييق عليه.

قال ابن كثير: فلما طال سجن الإمام الكاظم عليه السلام كتب الى الرشيد: أمّا بعد يا أمير المؤمنين إنّه لم ينقض عنّي يوم من البلاء إلاّ انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك الى يوم يخسر فيه المبطلون[1].

ولم يزل ذلك الامر بالإمام عليه السلام ، يُنقل من سجن إلى سجن حتى انتهى به الأمر إلى سجن السندي بن شاهك[2]، وكان فاجراً فاسقاً، لا يتورّع عن أي شيء تملّقاً ومداهنة للسلطان، فغالى في سجن الإمام عليه السلام وزاد في تقييده حتى جاء أمر الرشيد بدس السم للكاظم عليه السلام ، فأسرع السندي إلى انفاذ هذا الأمر العظيم واستشهد الإمام عليه السلام بعد طول سجن ومعاناة في عام ١٨٣ هجري.

ولما كان الرشيد يخشى ردّ فعل المسلمين عند انتشار خبر استشهاد الإمام عليه السلام ، لذا عمد إلى حيلة ماكرة للتنصّل من تبعة هذا الأمر الجلل، فقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني وغيره[3]: إن الإمام الكاظم لما توفي مسموماً أُدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ليشهدوا على أنّه مات حتف أنفه دون فعل من الرشيد وجلاوزته، ولما شهدوا على ذلك أُخرج بجثمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد ونودي بوفاته. فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجينا مظلوما مسموماً، ويوم يبعث حيا.

---

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

(٢) قال أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ٥٠٢: لما اعتقل الرشيد الإمام الكاظم عليه السلام أمر بارساله الى البصرة ليسجن عند عيسى بن جعفر المنصور، وكان على البصرة حينئذ، فحبس عنده سنة، ثمّ كتب إلى الرشيد: أن خذه مني وسلّمه إلى من شئت، وإلاّ خلّيت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجّة فما أقدر على ذلك، حتى أنّي لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليَّ أو عليك، فما أسمعه يدعو إلاّ لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة.

فوجّه الرشيد من تسلّمه، وحبسه عند الفضل بن الربيع في بغداد، فبقي عنده مدة طويلة، ثمّ كتب اليه ليسلّمه إلى الفضل بن يحيى ، فتسلّمه منه، وطلب منه أن يعمد إلى قتل الإمام كما طلب من عيسى بن جعفر فلم يفعل، بل عمد إلى إكرام الإمام عليه السلام والاحتفاء به ولما بلغ الرشيد ذلك أمر به أن يجلد مائة سوط، ثمّ أخذ الإمام منه وسلّمه إلى السندي بن شاهك لعنه الله، وكانت نهاية حياة الإمام الطاهرة على يده الفاجرة.

(٣) مقاتل الطالبيين ٥٠٤.

الإمام الثامن: علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام الرضا

وهو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت عليهم السلام القائم بالإمام بعد أبيه موسى بن جعفر عليهما السلام لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه واخوته في عصره، ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً الى النصوص الواردة في حقّه من أبيه على إمامته[١].

ولد في المدينة سنة ١٤٨ هجري، واستشهد في طوس من أرض خراسان في صفر ٢٠٣ هجري، وله يومئذ ٥٥ سنة، وكانت مدة إمامته بعد أبيه ٢٠ سنة[٢].

قال الواقدي: علي بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة[٣].

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أمعن نظره وفكره، وجده في الحقيقة وارثهما (المراد علي بن ابي طالب وعلي بن الحسين عليهما السلام) نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفعت مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أدخله الخليفة المأمون محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض اليه امر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّة، وصفاته ثنيّة، ونفسه الشريفة زكيّة هاشميّة، وارومته النبوية كريمة[٤].

وقد عاش الإمام الرضا عليه السلام في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية ، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم، وازداد التشكيك في الاصول والعقائد من قبل الملاحدة واحبار اليهود، وبطارقة النصارى، ومجسّمة اهل الحديث.

وفي تلك الأزمنة أُتيحت له عليه السلام فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء[٥].

---

(١) لاحظ للوقوف على النصوص، الكافي ١ / ٣١١ _ ٣١٩ والارشاد ٣٠٤ _ ٣٠٥، واثبات الهداة ٣ / ٢٢٨ روي فيه ٦٨ نصا على إمامته.

(٢) الارشاد ٣٠٤.

(٣) ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣١٥.

(٤) الفصول المهمة ٣٤٣ نقلا عن مطالب السؤول.

(٥) لقد جمع الشيخ الطبرسي قسما من هذه الاحتجاجات في كتابه «الاحتجاج» ٢ / ١٧٠ _ ٢٣٧ طبع النجف.

ولأجل ايقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلي:

دخل أبو قرة المحدّث على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال: روينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسم لموسى عليه السلام الكلام ولمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم الرؤية.

فقال أبو الحسن عليه السلام: **«فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجن والإنس: إنّه {لا تدركه الأبصار}، و{لا يحيطون به علما}، و{ليس كمثله شيء}، أليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم »؟** قال: بلى.

قال: **« فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: {لا تركه الأبصار}، و{لا يحيطون به علما}، و{ليس كمثله شيء}، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا: أن يكون أتى عن الله بأمر ثم يأتي بخلافه من وجه آخر».**

فقال أبو قرة: فإنّه يقول: **{ولَقَد رَآه نزلة أُخرى}.**

فقال أبو الحسن عليه السلام: **«إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: {ما كذب الفؤاد ما رأى} يقول: ما كذب فؤاد محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال: {لَقَد رَأى مِن آيات رَبِّه الكُبرى} فآيات الله غير الله، وقال: {لا يُحيطون بِه عِلما} فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة».**

فقال أبو قرة: فتكذّب بالرواية؟

فقال أبو الحسن: **«إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع المسلمون عليه : إنّه لا يحاط به علماً، ولا تركه الأبصار، وليس كمثله شيء»**[1].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢ / ١٨٤.

ولما انتشر علم الإمام وفضله، أخذت الأفئدة والقلوب تشدّ اليه، وفي الأمّة الإسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكثر التفاف المسلمين حول الإمام الرضا عليه السلام وازدادت أعدادهم، ممّا دفع بالخلافة العباسية الى محاولة سحب البساط من تحت أرجل الإمام عليه السلام وأعوانه قبل أن تستفحل الامور ويصعب السيطرة على الموقف بعدها، فلجا المأمون إلى مناورة ذكية ماكرة استطاع من خلالها قلب تيار الأحداث لصالحه، حيث استقدم الإمام الرضا عليه السلام وجملة من وجوه الطالبيين الى مقر الحكومة آنذاك في مرو من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، معززين مكرّمين حتى أنزلوهم الى جوار مقر الخلافة ريثما يلتقي المأمون بالإمام علي بن موسي عليه السلام .

وما كان من المأمون إلا أن بعث إلى الإمام الرضا عليه السلام قبل اجتماعه به: إني أريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأقلّدك إيّاها فما رأيك؟ فأنكر الرضا عليه السلام هذا الامر وقال له: «**أعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به احد**» فرد عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلابد من ولاية العهد بعدي، فأبى عليه الرضا اباءً شديداً.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين _ ليس في المجلس غيرهم _ وقال له: إني رأيت أن اقلّدك أمر المسلمين وأفسخ ما في رقبتي وأضعه في رقبتك.

فقال له الرضا عليه السلام : «**الله الله يا أمير المؤمنين إنّه لا طاقة لي بذلك ولا قوّ لي عليه**».

قال له: فإني موليك العهد من بعدي.

فقال له: «**اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين**».

فقال له المأمون _ كلاما فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال في كلامه _: إن عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدي ّ أمير المؤمنين عليه السلام وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولابد من قبولك ما اريد منك فإني لا اجد محيصا عنه.

فقال له الرضا عليه السلام : «**فإنّي أجيبك الى ما تريد من ولاية العهد على أنّني لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتي، ولا أقضي، ولا أولي، ولا أعزل، ولا أغير شيئاً ممّا هو قائم**» فأجابه المأمون الى ذلك كلّه[1].

---

(١) الارشاد للمفيد ٣١٠.

أقول: ليس بخاف على ذي لب مغزى اصرار المأمون على تولية الإمام الرضا عليه السلام لمنصب ولاية العهد، وتبدو هذه الصورة واضحة عند استقراء الاحداث التي سبقت او رافقت هذه المؤامرة المحكمة.

فعندما قلّم هارون الرشيد ولده الامين رغم اقراره ومعرفته بقوة شخصية المأمون وذكائه قياسا بأخيه المدلل الذي لا يشفع له إلاّ مكانة أمّه زبيدة الحاكمة في قصر الرشيد، كان يعني ذلك ايذانا بقيام الفتنة التي حصلت من بعد وراح ضحيتها عشرات الالوف وعلى رأسهم الأمين الذي وقف العباسيون إلى صفّه وقاتلوا معه، ولما انتقلت السلطة بأكملها الى المأمون المستقر في خراسان والمدعوم بأهلها آنذاك، فقد واجه خطر نقمة اكثر العباسيين وعدائهم له وتحيّنهم الفرص السانحة للانقضاض عليه وعلى حكمه.

وفي الجانب الآخر كان الشيعة في كل مكان يرفضون ويناصبون الخلافة العباسية العداء نتيجة سوء صنيعهم وظلمهم للعلويين ولآل البيت خاصة، والذين يشكل شيعة خراسان جانباً مهماً منهم.

وكان في أوّل سنة لخلافة المأمون أن خرج السري بن منصور الشيباني المعروف بأبي السرايا في الكوفة مناديا بالدعوة لمحمد بن ابراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي عليه السلام حيث بايعه عامة الناس على ذلك.

وفي المدينة خرج محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، وفي البصرة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد الغار، وفي اليمن ابراهيم بن موسى، ومن ثمّ فقد ظهر في المدينة أيضا الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالافطس.

وهكذا فقد اندلعت في انحاء الدولة الكثير من الثورات تناصرها الآلاف من الناس الذين ذاقوا الامرّين من حكم الطواغيت والظلمة.

وهكذا فقد ادرك المأمون مدى تأزّم الموقف وتخلخل وضع الحكومة آنذاك، فلم يجد بداً من تظاهره امام الرأي العام الشيعي _ الذي كان من أقوى التيارات المؤهلة للاطاحة بالخلافة العباسية دون أي شك _ بتنازله عن الخلافة _ التي قتل اخاه من اجلها _ الى الإمام الرضا عليه السلام إمام الشيعة وقائدهم.

وهكذا فبعد قبول علي بن موسى الرضا عليهما السلام بولاية العهد قام بين يديه الخطباء والشعراء، فخفقت الألوية على رأسه، وكان فيمن ورد عليه من الشعراء دعبل بن علي الخزاعي، فلمّا دخل عليه قال: قلت قصيدة وجعلت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك، فأمره بالجلوس حتى خفّ مجلسه ثمّ قال له: «هاتها» فأنشد قصيدته المعروفة:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار عفاها كل جون مبادر ... ولم تعف للأيام والسنوات

إلى أن قال:

قبور بكوفان وأُخرى بطيبة ... وأُخرى بفخ نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفس زكية ... تضمّنها الرحمن بالغرفات
فأمّا المصمات التي لست بالغا ... مبالغها مني بكنه صفات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائما ... يفرّج منها الهم والكربات

إلى أن قال:

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة ... أروح وأغدو دائم الحسرات؟
أرى فيئهم في غيرهم متقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدّ إلى أهل وترهم ... أكفّا من الأوتار منقبضات

حتى أتى على آخرها، فلمّا فرغ من إنشادها قام الرضا عليه السلام فدخل الى حجرته وأنفذ اليه صُرّ فيها مائة دينار واعتذر اليه، فردّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت، وإنّما جئت للسلام عليك والتبرّك بالنظر الى وجهك الميمون، وإنّي لفي غنى، فإن رأيت أن تعطني شيئاً من ثيابك للتبرّك فهو أحب إلي. فأعطاه الرضا جبّة خز ورد عليه الصرّ[1].

---

(١) الفصول المهمّة ٢٤٦، الارشاد ٣١٦، الأغاني ١٨ / ٥٨، زهر الآداب ١ / ٨٦، معاهد التنصيص ١ / ٢٠٥، الاتحاف ١٦٥، تاريخ دمشق ٥ / ٢٣٤ وللقصّة صلة ومن أراد فليراجع الى المصادر المذكورة.

كان الإمام في مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته في بقاع الارض، وعظم تعلّق المسلمين به، ممّا أثار مخاوف المأمون وتوجّسه من ان ينفلت زمام الامر من يديه على عكس ما كان يتمناه، وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، وقوّى ذلك الظن أنّ المأمون بعث اليه يوم العيد في أن يصلّي بالناس ويخطب فيهم فأجابه الرضا عليه السلام : «**إنّك قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول الامر، فاعفني في الصلاة بالناس**». فقال له المأمون: إنّما أريد بذلك ان تطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضلك.

ولم تزل الرسل تتردّ بينهما في ذلك، فلمّا ألحّ عليه المأمون، أرسل اليه الرضا: « **إن أعفيتني فهو أحب إلي وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم **وأمير المؤمنين** عليه السلام » فقال المأمون: أُخرج كيف شئت. وأمر القوّد والحجاب والناس أن يبكروا الى باب الرضا عليه السلام.

قال: فقعد الناس لابي الحسن عليه السلام في الطرقات والسطوح، واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه، فاغتسل ابو الحسن ولبس ثيابه وتعمّم بعمامةٍ، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه، ومسّ شيئاً من الطيب، وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه: «افعلوا مثل ما فعلت» فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فمشى قليلاً ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، فلمّا رآه الجند والقوّاد سقطوا كلّهم عن الدواب الى الارض، ثمّ كبّر وكبّر الناس فخيل إلى الناس أن السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لما رأوا الإمام الرضا عليه السلام وسمعوا تكبيره، فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلّنا على دمائنا، فأنفذ اليه أن يرجع. فأرسل اليه من يطلب منه العودة، فرجع الرضا عليه السلام واختلف أمر الناس في ذلك اليوم[1].

---

(١) المفيد: الارشاد ٣١٢.

وقد أشار الشاعر البحتري الى تلك القصّة بأبيات منها:

ذكـــروا بطلعتـــك النـــبي فهللـــوا ... لمـــا طلعـــت مـــن الصـــفوف وكـــبرّا

حـــتى انتهيـــت الى المصـــلّى لابســـا ... نـــور الهـــدى يبـــدو عليـــك فيظهـــر

ومشـــيت مشـــية خاشـــع متواضـــع ... لله لا يزهـــــــى ولا يتكـــــــبر[1]

إنّ هذا وأمثاله، وبالاخص خروج أخ المأمون زيد بن موسى بالبصرة على المأمون، لأنّه فوض ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا الذي كان في تصوّره سيؤدي إلى خروج الامر من بيت العباسيين، كل ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدس اليه السم على النحو المذكور في كتب التاريخ.

ومن لطيف ما نقل عن أبي نواس أنّه كان ينشد الشعر في كلّ جليل وطفيف ولم يمدح الإمام، ولما عوتب على ذلك من قبل بعض أصحابه حيث قال له: ما رأيت اوقح منك، ما تركت خمرا ولا طردا ولا معنى إلاّ قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً، فقال أبو نواس: والله ما تركت ذلك إلاّ اعظاماً له، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله، ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

قيـــل لي أنـــت أحســـن النـــاس طـــرا ... في فنـــــون مـــــن الكـــــلام النبيـــــه

لـــك مـــن جَيِّـــد القـــريض مـــديح ... يثمـــــر الـــــدر في يـــــدي مجتنيـــــه

فعـــلام تركـــت مـــدح ابـــن موســـى ... والخصـــــال الـــــتي تجمّعـــــن فيـــــه

قلـــت لا أســـتطيع مـــدح إمـــام ... كـــــان جبريـــــل خادمـــــا لأبيـــــه

وقال فيه عليه السلام أيضا:

مطهّـــــرون نقيـــــات جيـــــوبهم ... تجـــري الصـــلاة علـــيهم أينمـــا ذكـــروا

مـــن لم يكـــن علويـــا حـــين تنســـبه ... فمـــا لـــه في قـــديم الـــدهر مفتخـــر

الله لمّـــا بـــرا خلقـــا فأتقنـــه ... صَـــفّاكُم واصـــطفاكم أيّهـــا البشـــر

فـــأنتم المـــلأ الأعلـــى وعنـــدكم ... علـم الكتـاب ومـا جـاءت بـه السـور[2]

---

(١) أعيان الشيعة ٢ / ٢١ _ ٢٢.

(٢) ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠.

ولما استشهد الإمام عليه السلام دفن في مدينة طوس في قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضا الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرك به.

فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

الإمام التاسع: محمّد بن علي بن موسى عليهما السلام الجواد

هو الإمام التاسع من أئمّة أهل البيت _ عليهم السلام _، ولد بالمدينة المنورة في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة، فورث الشرف من آبائه واجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوّة، وارتوت شجرته من منهل الرسالة.

قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا عليه السلام عام ٢٠٣ هجري، واستشهد ببغداد عام ٢٢٠ هجري، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.

أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة[١].

يلقّب بالجواد والقانع والمرتضى والنجيب والتقي والزكي وغيرها من الألقاب الدالّة على علو شأنه وارتفاع منزلته.

أقول: لمّا توفي الرضا عليه السلام كان الإمام الجواد في المدينة وقام بأمر الإمامة بوصية من ابيه وله من العمر تسع او عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس السياسة التي مارسها مع أبيه عليه السلام خلافا لاسلافه من العباسيين، حيث إنّهم كانوا يتعاملون مع أئمّة أهل البيت بالقتل والسجن، وكان ذلك يزيد في قلوب الناس حبّاً لاهل البيت وبغضاً للخلفاء، ولما شعر المأمون بذلك بدّل ذلك الاسلوب باسلوب آخر وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكي يشرف على حركاتهم وسكناتهم، وقد استمرت هذه السياسة في حقّهم الى الإمام الحادي عشر كما ستعرف.

---

(١) أنظر الكافي ١ / ٣٢٠ _ ٣٢٣، اثبات الهداة ٣ / ٣٢١ _ ٣٢٨.

وما كان من المأمون عندما استقدم الإمام الى مركز الخلافة، إلاّ أن شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه احد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته امّ الفضل وحملها معه الى المدينة، وكان حريصاً على اكرامه وتعظيمه واجلال قدره، ونحن نكتفي في المقام بذكر أمرين:

١ ـ لمّا توفي الإمام الرضا عليه السلام وقدم المأمون بغداد اتّفق أن المأمون خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمّد الجواد واقف عندهم، فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمّد الجواد، وعمره آنذاك تسع سنين، فلمّا اقترب منه الخليفة قال له: يا غلام ما منعك أن لا تفر كما فر أصحابك؟! فقال له محمّد الجواد مسرعا: «**يا أمير المؤمنين فر أصحابي فرقا والظن بك حسن أنّه لا يفر منك من لا ذنب له، ولم يكن بالطريق ضيق فأنتحي**» فأعجب المأمون كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمّد بن علي الرضا عليه السلام » فترحّم على أبيه[1].

٢ ـ لمّا أراد المأمون تزويج ابنته أم الفضل من الإمام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقالوا له: نشهدك الله أن تقيم على هذا الامر الذي عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فانّا نخاف أن تخرج به عنّا أمرا قد ملّكناه الله! وتنزع منّا عزّ قد ألبسناه الله! فقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الرضا حتى كفى الله المهم من ذلك ـ إلى أن قالوا ـ: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديه فإنّه صبي لا معرفة له فأمهله حتى يتأدّب ويتفقّه في الدين ثم اصنع ما ترى.

قال المأمون: ويحكم إنّي اعرف بهذا الفتى منكم، وإنّ أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى وإلهامه، ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والادب من الرعايا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر حتى يتبين لكم ما وصفت لكم من حاله. قالوا: رضينا.

فخرجوا واتّفق رأيهم على أنّ يحيى بن أكثم يسأله مسألة وهو قاضي الزمان فأجابهم المأمون على ذلك.

---

(١) الفصول المهمّة ٢٦٦.

واجتمع القوم في يوم اتّفقوا عليه ، وامر المأمون أن يفرش لابي جعفر دست ففعل ذلك، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متّصل بدست أبي جعفر عليه السلام .

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسال أبا جعفر؟

فقال: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال: «سل إن شئت».

فقال: ما تقول _ جعلت فداك _ في مُحرم قتل صيداً

فقال أبو جعفر عليه السلام : « **في حل أو حرم؟ عالما كان المحرم أو جاهلا؟ قتله عمدا أو خطأ؟ حرّ كان المحرم أو عبداً صغيرا كان أو كبيراً مبتدئا كان بالقتل أو معيداً من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرّ كان على ما فعل أو نادماً ليلا كان قتله للصيد أم نهاراً محرما كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً** ».

فتحيّر يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ قال لأبي جعفر عليه السلام : اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أم الفضل ابنتي[1].

ولما تم الزواج قال المأمون لابي جعفر: إن رأيت _ جعلت فداك _ أن تذكر الجواب فيما فصّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

---

(١) الارشاد ٣١٩ _ ٣٢١، وإعلام الورى ٣٥٢ وللقصّة صلة فراجع.

فقال أبو جعفر عليه السلام : «**إن المحرم إذا قتل صيدا في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، فإن قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان احرامه بالعمرة نحره بمكّة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفّارة على الحر في نفسه، وعلى السيّد في عبده، والصغير لا كفّارة عليه وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة**».

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر...[1].

رجوع الجواد إلى المدينة:

ثمّ إنّ أبا جعفر بعد أن أقام مدّة في بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدّة إلى أن توفّي المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكّراً في أبي جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التي مارسها أخوه المأمون من قبله فاستقدم الإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد سنة ٢٢٠[2] وبقي فيها عليه السلام حتى توفّي في آخر ذي القعدة من تلك السنة، وله من العمر ٢٥ سنة وأشهر. ودفن عند جدّه موسى بن جعفر في مقابر قريش.

وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموما[3].

فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد، ويوم مات أو استشهد بالسم، ويوم يبعث حيّاً.

---

(١) الارشاد ٣٢٢.

(٢) وفي الارشاد ٣٢٦، وفي اعلام الورى ٣٠٤: وكان سبب ورود الإمام الى بغداد إشخاص المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من محرّم الحرام سنة ٢٢٥ هجري... ثم يقول: وكان له يوم قبض ٢٥ سنة.

ولا يخفى أنّه لو كان تاريخ وروده إلى بغداد هي سنة ٢٢٥ هجري، يكون له يوم وفاته ٣٠ سنة من العمر لأنّه ولد عام ١٩٥ هجري.

(٣) ابن شهر آشوب: المناقب ٤ / ٣٧٩.

الإمام العاشر: أبو الحسن علي بن محمّد بن علي عليهم السلام الهادي

الإمام علي بن محمّد الهادي، هو الإمام العاشر، والنور الزاهر، ولد عام ٢١٢ هجري ، وتوفّي بسامراء سنة ٢٥٤ هجري، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصاية والخلافة، وثمرة من شجرة النبوّ.

قام عليه السلام بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد عليه السلام ، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاة قضايا لا يتسع المقام لذكرها.

قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلم سماه البهاء[١].

وقال عماد الدين الحنبلي: كان فقيها إماما متعبّدا[٢].

وقال المفيد: تقلّد الإمامة بعد أبي جعفر ابنه أبو الحسن علي بن محمّد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالإمامة، والاشارة اليه من أبيه بالخلافة[٣].

وقد تضافرت النصوص على إمامته عن طرقنا، فمن أراد فليرجع الى الكافي واثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدّ لذلك [٤].

وقد مارس المتوكّل نفس الاسلوب الخبيث الذي رسمه المأمون ثم أخوه المعتصم من إشخاص أئمّة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الاقامة في مقرّ الخلافة، وجعل العيون والحرّاس عليهم حتى يطّلعوا على دقيق حياتهم وجليلها.

وكان المتوكّل من أخبث الخلفاء العباسيين، وأشدّهم عداءً لعليّ، فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس اليه، فخاف منها [٥]، فدعا يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا.

---

(١) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٠١ طبع قم.

(٢) شذرات الذهب ٢ / ١٢٨ في حوادث سنة ٢٥٤.

(٣) الارشاد ٣٢٧.

(٤) الكليني، الكافي ١ / ٣٢٣ _ ٣٢٥، الشيخ الحر العاملي: اثبات الهداة ٣٠ / ٣٥٥ _ ٣٥٨.

(٥) روي أن بريحة العباسي أحد أنصار المتوكل وأزلامه كتب إليه: إن كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منها علي بن محمد فإنّه قد دعا الناس إلى نفسه وتبعه خلق كثير.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي الهادي، وقامات الدنيا على ساق، لأنه كان مُحسناً إليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

قال يحيى : فجعلت أُسكّنهم وأحلف لهم انيّ لم أُؤمر فيه بمكروه، وإنّه لا بأس عليه، ثمّ فتّشت منزله فلم اجد فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتولّيت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته، فلمّا قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان والياً على بغداد، فقال لي: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكّل من تعلَم، فإن حرّضته عليه قتله، كان رسول الله خصمك يوم القيامة. فقلت له: والله ما وقعت منه إلا على كل أمر جميل.

ثم صرت به إلى «سر من رأى» فبدأت ب «وصيف» التركي، فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فلمّا دخلت على المتوكّل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته، وأنيّ فتّشت داره ولم أجد فيها إلاّ المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكّل وأحسن جائزته وأجزل برّه، وأنزله معه سامراء[1].

---

(١) سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٣٢٢.

ومع أنّ الإمام كان يعيش في نفس البلد الذي يسكن فيه المتوكل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، إلاّ أنّه وشي به إلى المتوكّل بأنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم بالوثوب بالدولة، فبعث اليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً، ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكّل جالساً في مجلس الشراب فأُدخل عليه والكأس في يده، فلمّا رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال الإمام عليه السلام : «**والله ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني**» فأعفاه، فقال له: انشدني شعراً، فقال علي: «**أنا قليل الرواية للشعر**» فقال: لابد، فأنشده وهو جالس عنده:

«باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأُسكنوا حُفرا يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد دفنهم ... أين الأسرّة والتيجان والحلل

أين الوجوه التي كانت منعّمة ... من دونها تضرب الأستار والكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل[1]

قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا»

فبكى المتوكّل حتى بلّت لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون، ورفع إلى علي أربعة آلاف دينار ثمّ ردّه إلى منزله مكرّما[2].

---

(١) ربّما يروى «ينتقل».

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٤ /١١.

آثاره العلمية:

روى الحفّاظ والرواة عن الإمام أحاديث كثيرة في شتى المجالات من العقيدة والشريعة، وقد جمعها المحدّثون في كتبهم، وبثّها الحرّ العاملي في كتابه الموسوم ب «وسائل الشيعة» على أبواب مختلفة، وممّا نلفت إليه النظر أن للإمام عليه السلام بعض الرسائل، وهي:

١ ــ رسالته في الرد على الجبر والتفويض واثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، أوردها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحرّني في كتابه الموسوم ب «تحف العقول»[١].

٢ ــ أجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله، وهذه أيضاً أوردها الحرّاني أيضاً في تحف العقول.

٣ ــ قطعة من احكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب.

ولاجل إيقاف القارئ على نمط خاص من تفسير الإمام نأتي بنموذج من هذا التفسير:

قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الايمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، فكتب المتوكل إلى الإمام الهادي يسأله، فلمّا قرأ الكتاب، كتب: «يضرب حتى يموت» فأنكر الفقهاء ذلك، فكتب إليه يسأله عن العلّة، فكتب: « بسم الله الرحمن الرحيم (فَلَمَّا رَأَوا بأسَنا قَالوا آمَنَّا بِالله وَحدَه وَكَفَرنا بِما كُنّا بِه مُشركين * فَلَم يَكُ يَنفَعُهَم إيمانُهُم لَمَّا رَأَوا بأسنا سُنّة الله الَّتي قَد خَلَت في عبادِه وَخَسِر هُنالِك الكافِرون)»[٢]، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات[٣].

وفاته:

توفي أبو الحسن عليه السلام في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسرّ من رأى، وخلّف من الولد أبا محمّد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمّداً، وجعفر، وابنته عائشة، وكان مقامه بسر من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهر، وتوفّي وسنّه يومئذ على ما قدمناه إحدى وأربعون سنة[٤].

---

(١) تحف العقول ٢٣٨ ــ ٣٥٢.

(٢) غافر / ٨٤ ــ ٨٥.

(٣) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٤٠٣ ــ ٤٠٥.

(٤) الإرشاد ٣٢٧.

وقد ذكر المسعودي في اثبات الوصيّة «تفصيل كيفية وفاته وتشييعه وإيصاء الإمامة لابنه أبي محمّد العسكري» فمن أراد فليراجع [١].

الإمام الحادي عشر: أبو محمّد الحسن بن علي بن محمد عليهما السلام العسكري

أبو محمّد، الحسن بن علي الهادي بن محمّد الجواد، أحد أئمّة أهل البيت، والإمام الحادي عشر، الملقّب بالعسكري، ولد عام ٢٣٢ هجري[٢]، وقال الخطيب في تاريخه[٣] وابن الجوزي في تذكرته[٤]:

أنّه ولد عام ٢٣١ هجري، وأُشخص بشخوص والده إلى العراق سنة ٢٣٦ هجري، وله من العمر أربع سنين وعدّة شهور، وقام بأمر الإمامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصال الفضل، وبرز تقدّمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة[٥]، وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدّثين يربو عددهم على ١٥٠ شخصا[٦]. وتوفي عام ٢٦٠ هجري، ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء.

وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطة، واجتهادها في البحث عن امره، ولكنّه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم، فقد خابت السلطة في طلبهما والاعتداء عليهما.

وقد اشتهر الإمام بالعسكري لأنّه منسوب إلى عسكر، ويراد بها سرّ من رأى التي بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، حيث أشخص المتوكل أباه عليّاً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنُسب هو وولده إليها[٧].

---

(١) إثبات الوصية.

(٢) الكليني: الكافي ١ / ٥٠٣.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ٧ / ٣٦٦.

(٤) ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣٢٢.

(٥) المفيد: الارشاد ٣٣٥.

(٦) العطاردي: مسند الإمام العسكري وقد جمع فيه كل ما روي عنه وأُسند إليه.

(٧) ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٢ / ٩٤.

وقال سبط ابن الجوزي: كان عالما ثقة روى الحديث عن أبيه عن جدّه ومن جملة مسانيده حديث في الخمر عزيز.

ثم ذكر الحديث عن جدّه أبي الفرج الجوزي في كتابه المسمّى ب «تحريم الخمر»، ثمّ ساق سند الحديث إلى الحسن العسكري وهو يسند الحديث إلى آبائه إلى علي بن أبي طالب وهو يقول: «اشهد بالله لقد سمعت محمّدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول: أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنّه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد الوثن»[1].

ولقد وقع سبط ابن الجوزي في الاشتباه عندما توهّم أن اسناد الإمام عليه السلام هذا الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنّ أحاديث أئمّة أهل البيت مروية كلّها عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم لا يروون في مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلا ما وصل اليهم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا تعبّر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصوّر كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممّن يعتمدون على آرائهم الشخصية، وهو في قياسه خاطئ، فهم منذ نعومة أظفارهم إلى ن لبّوا دعوة ربّهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء، ولا تعلّموا شيئاً من غير آبائهم، فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وراثة غيبية لا يعلم كنهها إلا الله سبحانه والراسخون في العلم.

وهذا الإمام جعفر الصادق عليه السلام يبيّن هذا الأمر بوضوح لا لبس فيه، حيث يقول: «**إن حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ**»[2].

---

(١) تذكرة الخواص ٣٢٤.

(٢) الارشاد ٢٧٤.

وروى حفص بن البختري، قال: قلت لابي عبد الله الصادق عليه السلام: أسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال: «**ما سمعته منّي فاروه عن أبي، وما سمعته منّي فاروه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم**»[1].

فأئمّة المسلمين على حد قول القائل:

ووال أُناســـــا نقلهـــــم وحـــــديثهم روى جـــدّنا عـــن جبرئيـــل عـــن البـــاري

ولقد عاتب الإمام الباقر عليه السلام سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا يأخذان الحديث من الناس ولا يهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: «**شرّقا وغرّبا فلا تجدان علما صحيحا إلا شيئا خرج من عندنا أهل البيت**».

ورغم أنّ الخلفاء العباسيين قد وضعوا الإمام تحت الاقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيس، ولكن روى عنه الحفّاظ والرواة أحاديث جمّة في شتى المجالات، بل يروى أنّ الإمام عليه السلام ورغم كل ذلك كان على اتّصال مستمر بالشيعة الذين كان عددهم يقدر بعشرات الملايين، وحيث كان لا مرجع لهم سوى الإمام عليه السلام.

كما أنّ الكلام عن أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته وعظمته، ومجابهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزّة، وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا في ذلك علماؤنا الأبرار، بيد أنّا نشير هنا إلى لمحة من علومه.

١ ـ لقد شغلت الحروف المقطّعة بال المفسّرين فضربوا يميناً وشمالاً، وقد أنهى الرازي أقوالهم فيها في أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولا، ولكن الإمام عليه السلام عالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: «كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبين تقوّله.

فقال الله: (الم ذلك الكتاب) أي: يا محمّد، هذا الكتاب الذي نزّلناه عليك هو الحروف المقطّعة التي منها «ألف» ، «لام»، «ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن أنّه لا يقدرون عليه بقوله: (قُل لَئِن اجتَمَعَت الإنس وَالجِنّ عَلى أن يأتُوا بِمِثل هذا القُرآن لا يَأتُون بِمِثلِه ولَو كَان بَعضُهُم لِبعض ظَهِيرا) [2]»[3].

---

(١) وسائل الشيعة ج ١٨، الباب الثامن من أبواب صفات القاضي، الحديث ٨٦.

(٢) الإسراء / ٨٨.

(٣) الصدوق: معاني الأخبار ٢٤، وللحديث ذيل فمن أراد فليرجع إلى الكتاب.

وقد روي هذا المعنى عن أبيه الإمام الهادي عليه السلام [1].

٢ ـ كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون: إنّكم تقولون في صلواتكم: (اهدِنا الصِّراط المستقيم) أو لستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو انّكم متنكّبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام الآية قاطعا لشغبهم فقال: «**أفلا لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمالنا**».

ثم فسّر الصراط بقوله: «**الصراط المستقيم هو: صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، أمّا الأوّل فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة**»[2].

وكان قد استفحل أمر الغلاة في عصر الإمام العسكري ونسبوا إلى الأئمة الهداة أُموراً هم عنها براء، ولاجل ذلك يركّز الإمام على أن الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير.

٣ ـ ربّما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: (صِراط الَّذِين أنعَمت عَلَيهِم) ويتصوّر أن المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحّة البدن، وإن كان كلّ هذا نعمة من الله، ولكنّ المراد من الآية بقرينة قوله: (غَير المَغضُوب علَيهِم ولا الضَّالِّين) هو نعمة التوفيق والهداية.

ولأجل ذلك نرى أن الإمام يفسّر هذا الإنعام بقوله: «قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عز وجل: (وَمَن يُطِعِ الله والرَّسُول فَأُلئِك مَع الَّذِين أَنعَم الله عَلَيهِم مِن النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالِحِين وحَسُن أُلئِك رَفيقا) ثم قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كل هذا نعمة من الله ظاهرة»[3].

٤ ـ لقد تفشّت آنذاك فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء قبل أن تخلق، تأثرا بتصورات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان، فسأله محمّد بن صالح عن قول الله: (يَمحُو الله ما يَشاء ويُثبِت وَعِندَه أُمُّ الكِتاب) [4] فقال: «**هل يمحو إلا ما كان وهل يثبت إلا ما لم يكن**»؟ فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطي: إنّه لا يعلم الشيء حتى يكون، فنظر إليَّ شزراً، وقال:

---

(١) الكليني: الكافي ج ١ كتاب العقل والجهل، الحديث ٢٠ / ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) الصدوق: معاني الأخبار ٣٣.

(٣) المصدر نفسه: ٣٦.

(٤) الرعد / ٣٩.

«تعالى الله الجبّار العالم بالشيء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه»[1].

حصيلة البحث:

هؤلاء هم أئمّة الشيعة وقادتهم بل أئمّة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك؟ وقد ترك رسول الله بعد رحلته الثقلين وحثّ الأُمّة على التمسّك بهما وقال: **«إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا»**[2].

ولكن المؤسف أن أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أئمّة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنّما استعانوا في تفسيره بأُناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقّون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفى عام ١٠٤ هجري)، وعكرمة البربري (المتوفى عام ١٠٤ هجري)، وطاووس بن كيسان اليماني (المتوفى عام ١٠٦ هجري)، وعطاء بن أبي رباح (المتوفى عام ١١٤ هجري)، ومحمّد بن كعب القرظي (المتوفى عام ١١٨ هجري)، إلى غير ذلك من أُناس لا يبلغون في الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمّة أهل البيت _ صلوات الله عليهم _...

فالاسلام عقيدة وشريعة، والنجاة عن الضلال _ حسب مفاد حديث الثقلين هو الرجوع إليهما وأمّا غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلا فلا قيمة له _ أمّا الصحابة والتابعون، فلا يعتد برأيهم إلاّ إذا كان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سنّة نبيّه، وليس حديث أئمّة أهل البيت إلاّ إشراقاً خالداً لحديث جدّهم الأكرم وسنّته.

---

(١) المسعودي: اثبات الوصية ٢٤١.

(٢) رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والمسانيد وهو من الأحاديث المتواترة، (لاحظ نشرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، حول هذا الحديث، ترى اسنادها موصولة إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم).

الإمام الثاني عشر: الإمام المهدي ابن الحسن بن علي عليه السلام المنتظر

هو أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري الحجّة، الخلف الصالح، ولد عليه السلام بسر من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبيّا كما حدث ليحيى، حيث قال سبحانه: (يا يَحيى خُذ الكِتاب بِقُوَّة وآتَيناه الحُكم صَبيّا) [1]، وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبيّاً وهو رضيع قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه: (إِنّي عَبدُ اللهِ آتاني الكِتاب وَجَعَلَني نَبيّا) [2].

اتّفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كلّه ولو كره المشركون، فهو بإذن الله ينجي العالم من ذلّ العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة التي سنّتها الأهواء، ويقطع أواصر التعصّبات القومية والعنصرية، ويمحو أسباب العداء والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأُمّة وافتراق الكلمة، ويحقّق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله:

١ ـ (وعَدَ اللهُ الَّذين آمنُوا مِنكُم وَعمِلُوا الصّالِحات لَيَستَخلِفَنَّهُم في الأرض كما استَخلَفَ الَّذِين مِن قَبلِهِم وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُم الَّذ رتَضَى ٰ لَهُم وَلَيُبَدِّلَنَّهم مِن بَعد خَوفِهم أمنا يَعبُدُونَني لا يُشرِكُون بي شَيئا وَمَن كَفَر بَعَد ذلِك فَأولئِك هُم الفاسِقُون) [3].

٢ ـ (وَنُرِيد ن نَمُنَّ عَلى الَّذِين استُضعِفُوا في الأرض وَنَجعَلَهُم أَئِمَّة وَنَجعَلَهُم الوارثِين) [4].

٣ ـ (وَلَقَد كَتَبنا في الزَّبُور مِن بَعد الذِّكر أنَّ الأرض يَرِثُها عِبادي الصّالِحُون) [5].

وتشهد الأمّة بعد ظهوره عليه السلام عصرا ذهبياً لا يبقى فيه على الأرض بيت إلاّ ودخلته كلمة الإسلام، ولا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة «**لا إله ألا الله**» بكرة وعشيا.

---

(١) مريم / ١٢.

(٢) مريم / ٣٠.

(٣) النور / ٥٥.

(٤) القصص / ٥.

(٥) الأنبياء / ١٠٥.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والأخبار المروية من طريق أهل السنّة والشيعة المؤكّدة على إمامة أهل البيت عليهم السلام ، والمشيرة صراحة إلى أنّ عددهم كعدد نقباء بني إسرائيل، وأنّ آخر هؤلاء الأئمة هو الذي يملأ الأرض _ في عهده _ عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّ أحاديث الإمام الثاني عشر الموسوم بالمهدي المنتظر قد رواها جملة من محدثي السنَّة في صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذي (المتوفى عام ٢٩٧ هجري)، وأبي داود (المتوفى عام ٢٧٥ هجري)، وابن ماجة (المتوفى عام ٢٧٥ هجري) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، أمثال علي بن أبي طالب عليه السلام ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأمّ سلمة زوجة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة وغيرهم:

١ _ روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا»[١].

٢ _ أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**»[٢].

٣ _ أخرج أبو داود عن أم سلمة _ رضي الله عنها _ قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « **المهدي من عترتي من ولد فاطمة**»[٣].

٤ _ أخرج الترمذي عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي**»[٤].

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه. يقول الدكتور عبد الباقي: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح[٥].

---

(١) مسند أحمد ١ / ٩٩، ٣ / ١٧ _ ٧٠.

(٢) جامع الأصول ١١ / ٤٨ برقم ٧٨١٠.

(٣) جامع الأصول ١١ / ٤٨ برقم ٧٨١٢.

(٤) المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

(٥) الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة ١٢٣.

هذا هو المهدي الذي اتّفق المحدّثون والمتكلّمون عليه، وإنّما الاختلاف بين الشيعة والسنّة في ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أن المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر الذي ولد بسامراء عام ٢٥٥ هجري واختفى بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ هجري، وقد تضافرت عليه النصوص من آبائه، على وجه ما ترك شكّاً ولا شبهة [١] ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة، وقالوا بأنّه ولد وأنّه محمّد بن الحسن العسكري.

نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد في آخر الزمان، وبما أنّ أهل البيت أدرى بما في البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل البيت في كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للإمام العسكري هو المهدي الموعود.

وممّن وافق من علماء أهل السنّة بأن وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود:

١ ــ كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشي الشافعي في كتابه «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول». وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعي في «مرآة الجنان» في حوادث سنة ٦٥٠ هجري.

قال ــ بعد سرد اسمه ونسبه ــ: « **المهدي الحجّة، الخلف الصالح المنتظر، فأمّا مولده فبسر من رأى ، وأمّا نسبه أبا فأبوه الحسن الخالص**» ثمّ أورد عدّة أخبار واردة في المهدي من طريق أبي داود، والترمذي ومسلم، والبخاري وغيرهم ، ثمّ ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله عليه السلام من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلك، وأجاب عنها جميعاً، ثمّ قال رادّاً على تأويل البعض لهذِه الروايات بأنّها لا تدلّ على أنّه محمّد بن الحسن العسكري قائلا: بأن الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجودة في محمّد بن الحسن العسكري علمنا إنّه هو المهدي.

٢ ــ أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي في كتابيه :« البيان في أخبار صاحب الزمان» و«كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب».

٣ ــ نور الدين علي بن محمّد الصباغ المالكي في كتابه: «الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة».

---

(١) اقرأ هذه النصوص في كتاب «كمال الدين» للشيخ الصدوق ٣٠٦ ــ ٣٨١ هجري ترى فيه النصوص المتضافرة على أن المهدي الموعود هو ولد الإمام أبي محمّد الحسن العسكري وأن له غَيبة.

٤ _ الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص».

إلى غير ذلك من علماء وحفاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين في أعيان الشيعة وأنهاها إلى ثلاثة عشر، ثمّ قال: والقائلون بوجود المهدي من علماء أهل السنّة كثيرون، وفيما ذكرناه منهم كفاية، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا «البرهان على وجود صاحب الزمان» ورسالة « كشف الأستار» للشيخ حسين النوري[1].

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدي في عصر الأئمّة الهداة أمراً مسلّماً، حتى أنّ دعبل الخزاعي ذكره في قصيدته التي أنشدها لعلي بن موسى الرضا عليه السلام فقال:

خـــروج إمـــام لا محالـــة قـــائم يقـــوم علـــى اســـم الله والبركـــات
يميـــز فينـــا كـــل حـــق وباطـــل ويجـــزي علـــى النعمـــاء والنقمـــات

ولما وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه، فقال له: « يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم»؟ فقلت: لا يا مولاي، إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

فقال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمّد ابني (الجواد) وبعد محمّد ابنه علي (الهادي)، وبعد علي ابنه الحسن (العسكري)، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وأمّا متى؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلاّ هو، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة[2].

---

(١) أعيان الشيعة ٢ / ٦٤ _ ٧٥.

(٢) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ٢ / ٣٧٢.

ثم إن للمهدي _ عجّل الله تعالى فرجه _ غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّة أهل البيت، أمّا الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير علي بن محمّد السمري عام ٣٢٩ هجري، ففي هذه الفترة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته في أُمور شتى.

وأمّا الغيبة الكبرى فهي بعد الأُولى إلى أن يقوم بإذن الله تعالى.

وأمّا من رأى الحجّة في زمان أبيه وفي الغيبة الصغرى وحتى في الكبرى، فحدّث عنه ولا حرج، وقد أُلّفت في ذلك كتب أحسنها وأجملها: «كمال الدين» للصدوق، و«الغيبة» للشيخ الطوسي.

فنذكر هنا بعض من رآه في صباه:

في من رأى المهدي في بيت الإمام العسكري:

إنّ هناك لفيفاً من أصحاب الإمام العسكري رأوا الإمام المهدي في أيام صباه، ووالده بعد حي. وها نحن نذكر من الكثير شيئا قليلا حتى لا يرتاب المنصف في ولادته:

١ _ روى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام وهو جالس على دكّان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشرة أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، درّي المقلتين، شثن الكفّين، معطوف الركبتين، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ ابي محمد ثم قال لي: هذا صاحبكم[١].

٢_ روى إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال: لما هم الوالي عمر بن عوف بقتلي غلب عليَّ خوف عظيم، فودعت أهلي وتوجهت إلى دار أبي محمّد لأودّعه، وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاما جالسا في جنبه وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسيني ما كنت فيه، فقال: يا إبراهيم لا تهرب فإنّ الله سيكفيك شره، فازداد تحيّري، فقلت لأبي محمّد: يا سيدي يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا وقد أخبرني بما كان في ضميري؟ فقال: هو ابني وخليفتي من بعدي[٢].

---

(١) الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٠٧ الباب ٣٨ الحديث ٢.

(٢) الحر العاملي: اثبات الهداة ٣: ٧٠٠، الباب ٣٣، الحديث ١٣٦.

٣ ـ روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لابي محمد الحسن العسكري: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعا فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه، الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما[١].

٤ ـ روى أبو الحسين الحسن بن وجناء قال: حدثني أبي عن جده أنّه كان في دار الحسن بن علي عليهما السلام فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن علي الكذّاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همّتي في مولاي القائم عليه السلام ، قال: فإذا أنا به عليه السلام قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو عليه السلام ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب[٢].

٥ ـ روى عبد الله بن جعفر الحميري قال: سألت أبا عمر عثمان بن سعيد العمري (احد وكلاء الإمام أيام غيبته) فقلت له: هل أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد عليه السلام ؟ فقال: أي والله، ورقبته مثل ذا ـ أومأ بيده ـ فقلت له: فبقيت واحدة؟ فقال لي: هات قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك...[٣].

٦ ـ روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إليَّ أبو محمّد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجّته في أرضه. ثم إن حكيمة عمة الإمام العسكري تتحدث عن ولادة الإمام المهدي وتقول: فضممته إليّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي ابو محمد عليه السلام : هلم إليّ ابني يا عمة، فجئت إليه...[٤].

---

(١) الصدوق: كمال الدين ٢: ٣٨٤ الباب ٣٨ الحديث١.

(٢) المصدر نفسه: ٢: ٤٧٣ الباب ٤٣ الحديث ٢٥.

(٣) الكليني ١: ٣٢٩ الحديث ١.

(٤) الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٢٤ الباب ٤٢ الحديث ١.

٧ ـ روى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام إذ نظرت إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة اخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا لله وهذا لكم، فجاءت الريح، فكشف طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين او مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، وأُلهمت أن قلت: لبيك يا سيدي. فقال: جئت إلى ولي الله وحجّته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتك، وعرف مقالتك... إلى أن قال: فنظر إليَّ أبو محمّد وتبسّم وقال: يا كامل بن ابراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدي والحجّة من بعدي بما كان في نفسك وجئت تسألني عنه. قال: فنهضت وقد أخذت الجواب الذي أسررته في نفسي من الإمام المهدي ولم ألقه بعد ذلك[1].

هذه نماذج في من رأى الإمام المهدي بعد ولادته، وقبل غيبته ذكرناها ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام في المقال.

أسئلة مهمّة حول المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ:

إن القول بأن الإمام المهدي لا يزال حيا يرزق منذ ولادته عام ٢٥٥ هجرية إلى الآن، وأنّه غائب سوف يظهر بأمر من الله سبحانه، أثار أسئلة حول حياته وإمامته، نذكر رؤوسها:

١ ـ كيف يكون إماماً وهو غائب، وما الفائدة المرتقبة منه في غيبته؟

٢ ـ لماذا غاب؟

٣ ـ كيف يمكن أن يعيش إنسان هذه المدة الطويلة؟

٤ ـ ما هي أشراط وعلائم ظهوره؟

هذه أسئلة أُثيرت حول الإمام المهدي منذ أن غاب، وكلّما طالت غيبته اشتدّ التركيز عليها، وقد قام المحققون من علماء الإمامية بالإجابة عليها في مؤلّفات مستقلة لا مجال لنقل معشار ما جاء فيها، غير أنّ الإحالة لما كانت عن المحذور غير خالية، نبحث عنها على وجه الإجمال، ونحيل من أراد التبسّط الى المصادر المؤلّفة في هذا المجال.

---

(١) الشيخ الطوسي: الغيبة: ١٤٨، كشف الغمة ٣: ٢٨٩ عن الخرائج، وغيرهما من المصادر.

السؤال الأول: كيف يكون إماما وهو غائب؟ وما فائدته؟

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة، هو الغاية من تنصيب الإمام، أو اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهراً بين أبناء الأمّة، مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً، وهو غائب عنهم؟!

والجواب: على وجهين نقضا وحلا.

أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياء الله، وأنّهم بين ظاهرٍ قائم بالأمور ومُختَفٍ قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إنّ كتاب الله العزيز يعرّفنا على وجود نوعين من الأئمّة والأولياء والقادة للأمّة، وليّ غائب مستور، لا يعرفه حتى نبي زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى عليه السلام بقوله: (فَوَجَدا عَبدا مِن عِبادِنا آتَيناه رَحمَة مِن عِندِنا وَعَلَّمناه مِن لَدُنا عِلما * قال لَه موسى هَل أَتَّبِعُك على أَن تُعَلِّمَن مِمَّا عُلِّمت رُشدا) الآيات[1].

ووليّ ظاهر باسط اليد، تعرفه الأمّة وتقتدي به.

فالقرآن اذن يدلّ على أنّ الولي ربّما يكون غائباً، ولكنّه مع ذلك لا يعيش في غفلة عن أُمّته، بل يتصرّف في مصالحها ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه ابناء الأمّة.

فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الولي إمّا ولي حاضر مشاهد، أو غائب محجوب.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب في كلامه لكميل بن زياد النخعيّ، يقول كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأخرجني إلى الجبّان، فلمّا أصحر، تنفَّس الصعداء، وكان مما قاله « اللهّم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغمورا لئلا تبطل حُجج الله وبيِّناته»[2].

وليست غيبة الإمام المهدي، بدعاً في تاريخ الأولياء، فهذا موسى بن عمران، قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً، وكان نبيّاً وليّاً، يقول سبحانه: (وواعَدنا موسى ثلاثين لَيلة وأتممناها بِعَشر فَتمَّ ميقات ربِّه أربعين لَيلة * وقال مُوسى لأخيه هارون اخلُفني في قومي وأصلح ولا تتّبع سبيل المفسدين)[3].

---

(١) الكهف / ٦٥ _ ٨٢.

(٢) نهج البلاغة بتعليقات عبده، ج ٤، ص ٣٧ قصار الحكم، الرقم ١٤٧.

(٣) الأعراف / ١٤٢.

وهذا يونس كان من أنبياء الله سبحانه، ومع ذلك فقد غاب في الظلمات كما يقول سبحانه: ﴿وذا النُّون إذ ذَهَب مُغاضِبا فظَنَّ أن لَن نَقدِرَ عَلَيه فَنادى في الظُّلُمات أن لا إله إلا أنت سُبحانك إني كُنت من الظَّالمين * فاستجبنا له ونَجَّيناه مِن الغَمِّ وكذلك نُنجي المؤمنين﴾ [1].

أولم يكن موسى ويونس نبيَّين من أنبياء الله سبحانه؟ وما فائدة نبي يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيدا عن قومه؟

فالجواب في هذا المقام، هو الجواب في الإمام المهدي عليه السلام ، وسيوافيك ما يفيدك من الانتفاع بوجود الإمام الغائب في زمان غيبته في جواب السؤال التالي.

وأمّا الحل: فمن وجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته، لا يدلّ على عدم كونه مفيداً في زمن غيبته، فالسائل جَعَلَ عدم العلم، طريقاً إلى العلم بالعدم!! وكم لهذا السؤال من نظائر في التشريع الإسلامي، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية، ولا شك أن عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأمور المهمّة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه،، وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو.

وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع اذا وصل الينا بصورة صحيحة كما عرفت من تواتر الروايات على غَيبته.

الثاني: إن الغَيبَة لا تلازم عدم التصرف في الأمور، وعدم الإستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعلَم أصحاب السفينة بتصرّفه، وإلاّ لصدُّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية عمله. كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأي مانع حينئذ من أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليلة تصرّف من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم في أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل _ بنفسه الشريفة _ قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

---

(١) الأنبياء / ٨٧ _ ٨٨.

الثالث: المسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص اليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأمّة الذين يُستَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأمّة بواسطتهم.

الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف في الأمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف في الامور كما فعل الإمام المهدي _ أرواحنا له الفداء _ في غَيبته. ففي الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم. وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء واجراء سياسات، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكل ما يتوقّف عليه نظم أمور الناس[1].

وإلى هذه الأجوبة أشار الإمام المهدي عليه السلام في آخر توقيع له إلى بعض نوّابه، بقول: «**وأمّا وجه الإنتفاع بي في غَيبتي، فكالإنتفاع بالشَّمسِ إذا غيّبَها عن الأبصار السحاب**»[2].

---

(١) المراد من الغيبة الصغرى، غيبته _ صلوات الله عليه _ منذ وفاة والده عام ٢٦٠ هجري الى عام ٣٢٩ هجري، وقد كانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بواسطة وكلائه الأربعة: الشيخ ابي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وولده الشيخ ابي جعفر محمّد بن عثمان، والشيخ ابي القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، والشيخ ابي الحسن علي بن محمد السَّمري.

والمراد من الغيبة الكبرى: غيبته من تلك السنة الى زماننا هذا، انقطعت فيها النيابة الخاصّة عن طريق أشخاص معينين، وحلّ محلّها النيابة العامّة بواسطة الفقهاء والعلماء العدول، كما جاء في توقيعه الشريف: «وأمّا الحوادث العامّة، فارجعوا فيها الى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم» (كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٤).

(٢) الصدوق: كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٥ الحديث ٤. وقد ذكر العلاّمة المجلسي في وجه تشبيهه بالشمس اذا سترها السحاب، وجوهاً، راجعها في بحار الأنوار ج ٥٢ الباب ٢٠ ص ٩٣ _ ٩٤.

السؤال الثاني: لماذا غاب المهدي عليه السلام ؟

إنّ ظهور الإمام بين الناس، يترتّب عليه من الفائدة ما لا يترتب عليه في زمن الغيبة، فلماذا غاب عن الناس، حتى حرموا من الإستفادة من وجوده، وما هي المصلحة التي أخفته عن أعين الناس؟

الجواب:

إن هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل:

أمّا النقض: فبما ذكرناه في الإجابة عن السؤال الأوّل، فانّ قصور عقولنا عن إدراك أسباب غيبته، لا يجرّنا الى إنكار المتضافرات من الروايات، فالاعتراف بقصور أفهامنا أولى من ردّ الروايات المتواترة، بل هو المتعين.

وأمّا الحل: فإنّ أسباب غيبته، واضحة لمن أمعن فيما ورد حولها من الروايات، فإنّ الإمام المهدي عليه السلام هو آخر الأئمّة الاثني عشر الذين وعد بهم الرسول، وأناط عزّة الإسلام بهم، ومن المعلوم أنّ الحكومات الإسلامية لم تُقدِّرهُم، بل كانت لهم بالمرصاد، تلقيهم في السجون، وتريق دماءهم الطاهرة، بالسيف او السمّ، فلو كان ظاهراً، لاقدموا على قتله، إطفاءً لنوره، فلأجل ذلك اقتضت المصلحة ان يكون مستوراً عن أعين الناس، يراهم ويرونه ولكن لايعرفونه، إلى أن تقتضي مشيئة الله سبحانه ظهوره، بعد حصول استعدادٍ خاص في العالم لقبوله، والإنضواء تحت لواء طاعته، حتى يحقّق الله تعالى به ما وعد به الأمم جمعاء من توريث الأرض للمستضعفين.

وقد ورد في بعض الروايات إشارة الى هذه النكتة، روى زرارة قال: سمعت أبا جعفر (الباقر عليه السلام) يقول: إنّ للقائم غَيبة قبل أن يقوم، قال: قلت: لمِ؟ قال: يخاف. قال زارة: يعني القتل.

وفي رواية أخرى: يخاف على نفسه الذبح[1].

وسيوافيك ما يفيدك عند الكلام عن علائم ظهوره.

---

(١) لاحظ كمال الدين، الباب ٤٤ ص ٢٨١ الحديث ٨ و٩ و١٠.

السؤال الثالث: الإمام المهدي وطول عمره:

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدي، طول عمره في فترة غَيبته، فإنّه ولد عام ٢٥٥ هجري، فيكون عمره إلى الأعصار الحاضرة أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن في منطق العلم أن يعيش إنسانا هذا العمر الطويل؟

والجواب:

من وجهين، نقضاً وحلاً.

أمّا النقض: فقد دلّ الذكر الحكيم على أنّ شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: ﴿فَلَبِث فيهم أَلف سَنَة إلاَّ خَمسين عاما﴾ [١].

وقد تضمّنت التوراة أسماء جماعة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم في سِفر التكوين[٢].

وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمّرين، ككتاب «المعمّرين» لأبي حاتم السجستاني، كما ذكر الصدوق أسماء عدُّة منهم في كتاب «كمال الدين»[٣]،

والعلاّمة الكراجكي في رسالته الخاصّة، باسم «البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان»[٤]، والعلاّمة المجلسي في البحار[٥]، وغيرهم.

وأمّا الحل: فأنّ السؤال عن إمكان طول العمر، يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة الله سبحانه: ﴿وما قدِرُوا الله حَقَّ قَدرِه﴾ [٦]، فإنّه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه، فأي مشكلة في أن يمد الله سبحانه في عمره ما شاء، ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء.

وبعبارة أُخرى: إنّ الحياة الطويلة إمّا ممكنة في حد ذاتها أو ممتنعة، والثاني لم يقل به احد، فتعيّن الأوّل، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمدّ عمر وليّه، لتحقيق غرض من أغراض التشريع.

---

(١) العنكبوت / ١٤.

(٢) التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الجملة ٥، وذكر هناك أعمار آدم، وشيث ونوح، وغيرهم.

(٣) كمال الدين، ص ٥٥٥.

(٤) الكراجكي: البرهان على طول عمر صاحب الزمان، ملحق ب «كنز الفوائد»، له أيضاً، الجزء الثاني. لاحظ في ذكر المعمرين ص ١١٤ ـ ١٥٥، ط دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥ هجري.

(٥) بحار الأنوار ج ٥١، الباب ١٤، ص ٢٢٥ ـ ٢٩٣.

(٦) الأنعام / ٩١.

أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الحياة، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان في فترة متدنية، ليس لقصور الإقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

وهناك كلمات ضافية من مَهَرة علم الطب في إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة[1].

وبالجملة، اتّفقت كلمة الأطباء على أنّ رعاية أُصول حفظ الصحّة، توجب طول العمر، فكلّما كثرت العناية برعاية تلك الأصول، طال العمر، ولاجل ذلك نرى أنّ الوفيات في هذا الزمان، في بعض الممالك، أقلّ من السابق، والمعمّرين فيها أكثر من ذي قبل، وما هو إلاّ لرعاية أُصول الصحّة، ومن هنا أُسّست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقرّرات خاصة وحدود معيّنة، جارية على قوانين حفظ الصحّة، فلو فرض في حياة شخص إجتماع موجبات الصحّة من كلّ وجه، طال عمره إلى ما شاء الله.

وإذا قرأت ما تُدَوّنه أقلام الأطباء في هذا المجال، يتّضح لك معنى قوله سبحانه: ﴿فَلَو لا أَنَّه كان مِن المسَبِّحين * لَلَبِث في بَطنِه إلى يَوم يُبعَثون﴾ [2].

فإذا كان عيش الإنسان في بطون الحيتان، في أعماق المحيطات، ممكناً إلى يوم البعث، فكيف لا يعيش إنسان، على اليابسة، في أجواء طبيعية، تحت رعاية الله وعنايته، إلى ما شاء الله؟

السؤال الرابع: علائم ظهوره عليه السلام ما هي؟

إذا كان للإمام الغائب، ظهور بعد غيبة طويلة، فلابدّ من أن يكون لظهوره علائم وأشراط تخبر عن ظهوره، فما هي هذه العلائم؟

الجواب:

إن ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين:

قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنو القيامة.

وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر.

---

(١) لاحظ مجلة المقتطف، الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين.

(٢) الصافات / ١٤٣ و١٤٤.

وربّما وقع الخلط بينهما في الكتب، ونحن نذكر القسم الثاني منهما، وهو عبارة عن أُمور عدّة منها:

١ ـ النداء في السماء.

٢ ـ الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.

٣ ـ الشقاق والنفاق في المجتمع.

٤ ـ ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج في الأمّة.

٥ ـ ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.

٦ ـ قتل النفس الزكية.

٧ ـ خروج الدجّال.

٨ ـ خروج السفياني.

وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية[١]. هذه هي علامات ظهوره، ولكن هناك أُموراً تمهّد لظهوره، وتسهّل تحقيق أهدافه نشير إلى أبرزها:

١ ـ الاستعداد العالمي: والمراد منه أنّ المجتمع الإنساني ـ وبسبب شيوع الفساد ـ يصل إلى حدّ، يقنط معه من تحقّق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة، وأن ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله على أن يُذعن ويُقر بأن الإصلاح لا يتحقق إلا بظهور إعجاز إلهي، وحضور قوّة غيبية، تدمّر كلّ تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التي قَيَّدَت بأسلاكها أعناق البشر.

٢ ـ تكامل العقول: إن الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام لا تتحقّق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنّما تتحقق برغبة الناس إليها، وتأييدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم. يقول الإمام الباقر عليه السلام في حديث له يرشد فيه إلى أنّه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: « **إذا قام قائمنا، وَضَعَ الله يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم**»[٢].

---

(١) لاحظ للوقوف على هذه العلائم، بحار الأنوار ج ٥٢، الباب ٢٥، ص ١٨١ ـ ٣٠٨. كتاب المهدي، للسيد صدر الدين الصدر (م ١٣٧٣ هجري). ومنتخب الأثر، ص ٤٢٤ ـ ٤٦٢.

(٢) منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

فقوله عليه السلام: فيجمع بها عقولهم، بمعنى أنّ التكامل الإجتماعي يبلغ بالبشر إلى الحدّ الذي يَقبَلُ فيه تلك الموهبة الإلهية، ولن يترصّد للثورة على الإمام والإنقلاب عليه، وقتله أو سجنه.

٣ _ تكامل الصناعات: إنّ الحكومة العالمية الموحّدة لا تتحقق إلاّ بتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كلّه صوته ونداءه، وتعاليمه وقوانينه في يومٍ واحدٍ، وزمنٍ واحدٍ.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن المؤمنَ في زمان القائم، وهو بالمشرق يرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق**»[1].

٤ _ الجيش الثوري العالمي: إن حكومة الإمام المهدي عليه السلام وإن كانت قائمة على تكامل العقول، ولكن الحكومة لا تستغني عن جيش فدائي ثائر وفعّال، يُمَهِّد الطريق للإمام عليه السلام ، ويواكبه بعد الظهور إلى تحقّق أهدافه وغاياته المتوخّاة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

---

(١) منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

فهرس مصادر الكتاب

_ نبدأ تبركا بالقرآن الكريم.

_ حرف الألف _

١ _ الاتحاف بحب الأشراف: الشبراوي: عبد الله بن محمد، المطبعة الأدبية، مصر.

٢ _ اثبات الهداة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (م ١١٠٤ هجري) المطبعة العلمية، قم المقدسة.

٣ _ اثبات الوصية: المسعودي: علي بن الحسين بن علي (م ٣٤٥ هجري) قم المقدسة _ ١٤٠٤ هجري.

٤ _ الاحتجاج: أبو منصور: أحمد بن علي الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.

٥ _ الارشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هجري) قم المقدسة _ ١٤٠٢ هجري.

٦ _ الاصابة: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (م ٨٥٢ هجري) دار احياء التراث العربي، بيروت.

٧ _ اعلام الورى: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١ _ ٥٤٨ هجري) طبع إيران.

٨ _ أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هجري) دار التعارف، بيروت.

٩ _ الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين(٣٥٦ هجري) دار احياء التراث العربي،، بيروت.

١٠ _ الإلهيات: محمد مكي العاملي من محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت _ ١٤١٠ هجري.

١١ _ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، دار الروائع، بيروت.

١٢ _ الإمامة والسياسة: ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (م ٢٧٦ هجري) مطبعة مصطفى محمد، مصر.

_ حرف الباء _

١٣ _ بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هجري) مؤسسة الوفاء، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.

١٤ _ البداية والنهاية: ابن كثير: الحافظ أبو الفداء (م ٧٧٤ هجري) دار الفكر، بيروت _ ١٤٠٢ هجري.

١٥ _ البرهان على طول عمر الإمام صاحب الزمان: أبو الفتح: محمد بن عثمان الكراجكي (م ٤٤٩ هجري).

١٦ _ بين يدي الساعة: الدكتور عبد الباقي المعاصر.

_ حرف التاء _

١٧ _ تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هجري) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

١٨ _ تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ _ ٩١١ هجري) مطبعة المدني، القاهرة _ ١٣٨٣ هجري.

١٩ _ تاريخ الطبري المسمّى (تاريخ الأمم والملوك): محمد بن جرير (م ٣١٠ هجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٠ _ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: علي بن الحسين بن هبة الله (٠٠ ٥_ ٥٧٣ هجري) دار التعارف، بيروت _ ١٣٩٥.

٢١ _ تحف العقول: الحرّاني: الحسن بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت _ ١٣٩٤ هجري.

٢٢ _ تذكرة الخواص: سبط ابن الجوري (٥٨١ _ ٦٥٤ هجري) مؤسسة أهل البيت، بيروت _ ١٤٠١ هجري.

٢٣ _ ترجمة الآثار الباقية: أبو ريحان البيروني.

٢٤ _ تفسير مفاتيح الغيب: محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤ _ ٦٠٦ هجري) دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٥ _ التوحيد: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ _ ٣٨١ هجري) مكتبة الصدوق، طهران.

_ حرف الثاء _

٢٦ _ ثمار القلوب: الثعالبي.

_ حرف الجيم _

٢٧ _ جامع الأصول: ابن الاثير الجزري: المبارك بن محمد (٥٤٤ _ ٦٠٦ هجري) دار الفكر، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.

٢٨ _ جنّة المأوى: محمد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هجري) مكتبة الحقيقة، تبريز _ ١٣٨٠ هجري.

_ حرف الحاء _

٢٩ _ حلية الأولياء: أبو نعيم: احمد بن عبد الله الاصبهاني (م ٤٣٠ هجري) دار الكتاب العربي، بيروت _ ١٣٨٧ هجري.

_ حرف الخاء _

٣٠ _ الخصال: الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه (م ٣٨١ هجري) منشورات دار النشر الإسلامي، قم المقدسة _ ١٤٠٣ هجري.

_ حرف الراء _

٣١ _ ربيع الأبرار: الزمخشري: محمود بن عمر (٤٦٧ _ ٥٣٨ هجري) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة _ ١٤١٠ هجري.

٣٢ _ الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢ _ ٤٥٠ هجري) بيروت _ ١٤٠٩ هجري.

_ حرف الزاي _

٣٣ _ زهر الآداب: الحصري.

_ حرف السين _

٣٤ _ سفينة البحار: الشيخ عباس القمي (١٢٩٤ _ ١٣٥٩ هجري) طبعة حجر، النجف الأشرف.

٣٥ _ السيرة النبوية: ابن هشام: عبد الملك بن أيوب الحميري (م ٢١٣ أو ٢١٨ هجري) دار التراث العربي، بيروت.

_ حرف الشين _

٣٦ _ شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلي (١٠٣٢ _ ١٠٨٩ هجري) دار الفكر، بيروت _ ١٣٩٩ هجري.

٣٧ _ شرح الشفاء: القاضي عياض.

٣٨ _ شرح عينية عبد الباقي أفندي العمري.

٣٩ _ شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هجري) دار احياء الكتب العربية، القاهرة _ ١٣٧٨ هجري.

٤٠ _ شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن عبد الله، بيروت _ ١٩٧٤ م.

٤١ _ الشيعة والتشيّع: محمد جواد مغنية، مكتبة المدرسة ودار الكتاب العربي، بيروت.

_ حرف الصاد _

٤٢ _ الصحيفة السجادية الجامعة: الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام تحقيق مؤسسة الإمام المهدي _ عجل الله تعالى فرجه الشريف _ قم المقدسة _ ١٤١١ هجري.

٤٣ _ الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (م ٩٧٤ هجري) مكتبة القاهرة، مصر _ ١٣٨٥ هجري.

_ حرف العين _

٤٤ _ العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦ _ ٣٢٨ هجري) دار الكتب العلمية، بيروت _ ١٤٠٤ هجري.

_ حرف الغين _

٤٥ _ الغدير: العلاّمة عبد الحسين أحمد الأميني(١٣٢٠ _ ١٣٩٠ هجري) دار الكتاب العربي، بيروت _ ١٣٨٧ هجري.

٤٦ _ الغيبة: الطوسي: محمد بن الحسن (م ٤٦٠ هجري) تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة _ ١٤١١ هجري.

_ حرف الفاء _

٤٧ _ الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي (م ٨٥٥ هجري) المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف _ ١٣٨١ هجري.

٤٨ _ في رحاب أئمّة أهل البيت: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هجري) دار التعارف، بيروت _ ١٤٠٠ هجري.

_ حرف الكاف _

٤٩ _ الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هجري) دار الكتب الإسلامية، طهران _ ١٣٩٧ هجري.

٥٠ _ الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (م ٦٣٠ هجري) دار الكتاب العربي، بيروت.

٥١ _ كشف الغمة: الأربلي: علي بن عيسى (م ٦٩٣ هجري) دار الأضواء، بيروت _ ١٤٠٥ هجري.

٥٢ _ كمال الدين: الصدوق: محمد بن بابويه (م ٣٨١ هجري) طهران _ ١٤٠٥ هجري.

_ حرف اللام _

٥٣ _ لسان العرب: العلاّمة ابن منظور: محمد بن مكرم (م ٧١١ هجري) قم المقدسة _ ١٤٠٥ هجري.

٥٤ _ اللهوف: السيد ابن طاووس، طبع بغداد.

_ حرف الميم _

٥٥ _ مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٧١ _ ٥٤٨ هجري) دار المعرفة، بيروت _ ١٤٠٨ هجري.

٥٦ _ مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (م ٣٤٥ هجري) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت _ ١٩٦٥ م.

٥٧ _ المسند: أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هجري) دار الفكر، بيروت.

٥٨ _ مسند الإمام العسكري: العطاردي.

٥٩ _ معاني الأخبار: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هجري) دار المعرفة، بيروت _ ١٣٩٩ هجري.

٦٠ _ معاهد التنصيص: العباسي البغدادي.

٦١ _ مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ _ ٣٥٦ هجري) مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة.

٦٢ _ مقتل الحسين: الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد المكي (م ٥٦٨ هجري) مطبعة الزهراء، النجف الأشرف _ ١٣٦٧ هجري.

٦٣ _ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ _ ٥٨٨ هجري) المطبعة العلمية، قم المقدسة.

٦٤ _ مناقب أحمد: ابن الجوزي الحنبلي.

٦٥ _ منتخب الأثر: لطف الله الصافي الكلبايكاني، مركز نشر كتاب، طهران _ ١٣٧٣ هجري.

٦٦ _ المهدي: السيد صدر الدين الصدر (م ١٣٧٣ هجري) مؤسسة البعثة، طهران _ ١٤٠٣ هجري.

٦٧ _ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (م ٧٤٨ هجري) دار المعرفة، بيروت.

_ حرف النون _

٦٨ _ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ _ ٤٠٦ هجري) بيروت _ ١٣٨٧ هجري.

_ حرف الواو _

٦٩ _ وسائل الشيعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ _ ١١٠٤ هجري) دار احياء التراث العربي، بيروت _ ١٤٠٣ هجري.

٧٠ _ وفيات الأعيان: ابن خلّكان: احمد بن محمد (٦٠٨ _ ٦٨١ هجري) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة _ ١٣٦٤ هجري.

الفهرست

التقديم: ٢
الإمام الأوّ : الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ٨
الإمام علي ومكوّنات الشخصية: ٩
الإمام علي عليه السلام والجانب الموروث في شخصيته: ١٠
النبي يأخذ عليّا إلى بيته: ١٤
علي في غار حراء ١٥
تسليط الضوء على شخصيته السامية ٢١
تنصيب علي عليه السلام للإمامة: ٢٣
١ ـ النبوّ والإمامة توأمان: ٢٦
٢ ـ قصة الغدير: ٢٧
واقعة الغدير ورمز الخلود: ٣١
بعض خصائصه ٣٤
الإمام الثاني: أبو محمّد الحسن بن علي عليهما السلام المجتبى ٣٥
صلح الحسن عليه السلام مع معاوية ٤٠
شهادته: ٤١
الإمام الثالث: الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام سيد الشهداء ٤٣
إباؤه للضيم ومعاندة الجور: ٤٤
رفضه البيعة ليزيد: ٤٥
الدافع الواقعي للهجرة إلى العراق: ٤٧
الإمام الرابع: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام زين العابدين ٥٣
جوانب من سيرته عليه السلام ٥٣
الثروة العلمية للإمام: ٥٦
رسالة الحقوق: ٥٨
الإمام الخامس: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين عليهم السلام الباقر ٥٨

الإمام السادس: جعفر بن محمّد عليهما السلام الصادق.....٦٢
الإمام السابع: أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام الكاظم ٦٨
روايات عن سيرته العطرة ٦٩
الإمام الثامن: علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام الرضا ٧٤
الإمام التاسع: محمّد بن علي بن موسى عليهما السلام الجواد ٨١
رجوع الجواد إلى المدينة: ٨٤
الإمام العاشر: أبو الحسن علي بن محمّد بن علي عليهما السلام الهادي.....٨٥
آثاره العلمية: ٨٨
وفاته: ٨٨
الإمام الحادي عشر: أبو محمّد الحسن بن علي بن محمد عليهما السلام العسكري.....٨٩
حصيلة البحث:.....٩٣
الإمام الثاني عشر: الإمام المهدي ابن الحسن بن علي عليهما السلام المنتظر.....٩٤
في من رأى المهدي في بيت الإمام العسكري: ٩٨
أسئلة مهمّة حول المهدي _ عجّل الله تعالى فرجه _:..... ١٠٠
السؤال الأول: كيف يكون إماما وهو غائب؟ وما فائدته؟ ١٠١
السؤال الثاني: لماذا غاب المهدي عليه السلام ؟ ١٠٤
السؤال الثالث: الإمام المهدي وطول عمره: ١٠٥
السؤال الرابع: علائم ظهوره عليه السلام ما هي؟ ١٠٦
فهرس مصادر الكتاب ١٠٩